حلمي مهران

HELMY MAHRAN

القضية السابعة

الذئب

أحمد عثمان

ضياء
t.me/twinkling4

الكتـــــــاب: حلمي مهران، القضية السابعة، الديب
اسم المــؤلف: أحمد عثمان
الغلاف والرسم: مارك إبراهيم
التدقيق اللغوي: محمد فهمي
الطبعــــــة: مكتبة ضَاد فبراير 2025
رقــم الإيــــداع: 2025 / 3180
الترقيــم الدولــي: 978 - 977 - 779 - 873 - 0
الموقــــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية. والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

القاهرة - جمهورية مصر العربية
10 ش هدى شعراوي، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0223909119 -
موبايل: 01001631173
الموقع الإلكتروني:
www.ibda3eg.com

الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مركز الأعمال- مدينة الشارقة للنشر - المنطقة الحرة- الشارقة
موبايل: 00971526400538
البريد الإلكتروني:
ibdaa.emirates@gmail.com

#بس_المهم_تفهمني

القضية السابعة

الديب

أحمد عثمان

تدوين
Book 'n' Go
إيداع

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

#رغم-أنف-الجميع

قد يُقابل «حلمي مهران» في كل عدد بعضَ شخوص عوالم الكاتب، وأبطال أعماله الأخرى، إلا أن كل عمل يُحافظ على استقلاليته، ولا يتطلب قراءةَ أو متابعة بقية الأعمال لمتابعة السلسلة. فقط سلسلة «حلمي مهران» وإن كان هناك بعض الأعداد المستقلة التي لا تطلب متابعة بقية السلسلة؛ والتي كُتبت بطريقة بوليسية يغلبُ عليها طابع الحوار السينمائي.

إهداء

إلى كل النفوس المُعقدة

أكتب إليكم...

عيد ميلاده الستين والأخير يحتفل به «حازم الشناوي» داخل فيلّته الخاصة بالساحل الشمالي، من إحدى أغلى القرى الساحلية والمعروفة بتشديدها على الدخول، فلدى موظفي البوابات الصلاحية لرفض أي مُتطفل أو زائر دون دعوة، كما كانت فيلَّا «حازم» تحتاج إلى عبور ثلاث بوابات متتالية للوصول إليها على ساحل الشاطئ، الأمر الذي جعل الوصول إلى تلك الفيلَّا برًّا شبه مستحيل دون دعوة، وإن لم يكن الوصول بحرًا أقل شقاء، فلقد كان خفر السواحل متمركزين على بُعد مئات الأمتار من مكان الفيلَّا المميز، والتي كانت اليوم تشبه فنار الشاطئ، حيث كانت الفيلا الوحيدة المضيئة في المكان شبه المهجور في هذا الوقت البارد من الشتاء، لذا كانت تلك البقعة هي الأنسب لـ«حازم» للاحتفال بتلك المناسبة الشائكة، بعد تلقيه الكثير من جوابات التهديد مؤخرًا، والتي يمسك أحدها الآن يقرأه في صمت قبل أن ينهيه ويضعه في جيبه والخوف قد ملأ قلبه، ليرمق نفسه على مرآة السلم ويطيل الانتظار وكأنه يتعرف على نفسه، أو لعلّه يُودعها وهو يتحسس خصلات شعر رأسه الناعم رمادي اللون المليء بالكثير من الخبرات، فهو من أهم رجال الأعمال والمجتمع، ولقد كان فخورًا بنفسه مهتمًّا بمظهره، حيث إنه مُعتاد على التأنق ويرتدي دومًا الملابس الكلاسيكية الأرستقراطية، كما هو حاله اليوم، حيث اختار بذلة صوفية سوداء اللون إيطالية الصنع، تعكس رشاقة جسده الطويل، كما ارتدى خاتمًا ذهبيًّا في خنصر يده اليمنى يتماشى

مع سِوار من الماس الحر.

ودّع «حازم» صورته في المرآة ثم توجه إلى السلم مترجلًا نزولًا حتى توسط الحضور في توتر، فلم يعرف مَن منهم قاتله بحسب الرسالة، ليشعر بالقلق رغم قلة المدعوين الذين لم يتعدوا الأفراد العشرة دون حضور من يخدمهم، فلقد اختُصرت الدعوة عليهم فقط، كل منهم قد حضر بدعوة رقمية تم إرسالها إلى كافة البوابات ليعبروا منها وصولًا لهذه الفيلَّا الساخطة من ساكنيها. توسط «حازم» مَن حوله رامقًا في عيونهم الشماتة، فلقد ظهر الخوف على ملامحه وهو يرمق انتظارهم لنهايته، فنظر إلى داخل أعين كل منهم بحثًا عن قاتله، إلا أن جميعهم لم يُخفوا بُغضهم له، حتى رمق من وسطهم زوجته الجديدة «دعاء» الثلاثينية والتي اقترب منها وهو يقول:

- أنا عارف إني مش هيطلع عليّا صُبح، لكن أنا متأكد إن اللي هيعمل كده مش هيورث مني جنيه واحد.

قالها بثقة كاذبة قبل أن يبدأ صوت عنيف يطرق على النوافذ، ليزداد توتر الجميع، فلقد كان الطرق يعكس غضبًا ثائرًا لصاحبه.

- مفيش حاجة، ده صوت الهواء، ما أول مرة نيجي في الشتاء ده.

قالها «حازم» ليبرد نار خوفه، وإن كان يعلم أنه كاذب، قبل أن تبدأ الإضاءة في الارتعاش ثم بدأت في الخفوت:

- شوفتوا الهواء والمطر هيعمل قفلة.

مع خفوت الإضاءة، لم يستطع «حازم» تمييز بقية الوجوه المتفرقة داخل الصالونات، ليقترب من زوجته «دعاء» مُمسكًا يدها مع تصاعد صوت الطرق الذي بدأ في الثبات بوتيرة واحدة، ورتم متكرر، حتى تدخلت «دعاء» قائلة:

- ده تقريبًا الباب.

قالتها دون أن تستطيع تهدئة روعه ليتساءل:

- وهو اللي يخبط مايضربش جرس ليه؟

- يمكن يكون عطلان، ما إنت قلت ما بنجيش في الشتاء كتير.

علقت وهي تترك يده مطمئنة متجهة إلى الباب لتفتحه، فتجد «حلمي مهران» الذي تساءل من فوره:

- «حازم» فين؟

- جوة أهو.

قالتها مُشيرة إليه ليدخل، فتقدم «حلمي مهران» بسرعة رامقًا المكان الذي باتت إضاءته عاجزة عن كشف الوجوه، فنادى «حلمي مهران»:

- «حازم».

- الحقني يا «حلمي».

قالها «حازم» صارخًا من أعلى، ليندهش بقية الحضور من اختفائه بتلك السرعة، مع تزايد صوت الطرق على النوافذ، بينما كان «حازم» في الأعلى يتراجع مُتقهقراً من قسوة قاتله وهو يُدافع عن نفسه:

- بلاش تضيّع كل حاجة، «حلمي» هنا وهيعرف إنت مين، وساعتها كل اللي بنيناه هيروح.

- «حازم» بلاش كلام كتير، إحنا رجالة زي بعض، خلينا بقى نستمتع بلحظاتك الأخيرة.

قالها القاتل وهو يحمل جسد «حازم» وسط الظلام متوجهًا به إلى تلك المشنقة الرومانسية المعلقة داخل غرفة ابنته الصغرى، بينما لا يزال «حلمي مهران» والبقية يصعدون السلم ممسكين بكشافات هواتفهم باحثين عن «حازم» وسط الظلام فاتحين غرفة تلو الأخرى، بينما اتجه «حلمي مهران» دون غيره إلى الغرفة المنشودة ليفتحها في اللحظة التي عادت فيها الأضواء وسكنَ الطرق على النوافذ، ليرمق «حلمي مهران» جثة «حازم» معلقة مشنوقًا، ليوفي القاتل بوعده الذي عاهد عليه الجميع قبيل أيام متحديًا إياهم، بل ومتحديًا «حلمي مهران» الذي عجز عن إيقافه وهو يقترب من جثة الرجل ليجد رسالة قاتله الأخيرة في يد القتيل، فيمسكها في لحظة وصول البقية وصراخهم الذي استيقظ عليه «حلمي مهران» الآن من داخل منزله، ليتأكد أن كل ما سبق كان مجرد رؤيا من رؤاه كعادته، ولكنه كان يعلم أن تلك الرؤى لم تكن أبدًا من وحي

الخيال، بل كانت نتاج تكوين عقله المريض الذي كان يعلم بإصابته دون غيره!

توتر «حلمي مهران» من تلك الرؤيا وهو يرمق الآن غرفته من داخل منزله وقد تملّكه الفضول لمعرفه المزيد عن«حازم» صاحب تلك الرؤيا، فلم يكن «حلمي مهران» يعرفه بعد حتى تلك اللحظة، فاعتدل على سريره في هدوء وأضاء غرفته، ثم وقف ليرمق نفسه في المرآة، يحاول إدراك ما يحدث داخل عقله منذ إصابته في الحادي والثلاثين من أكتوبر المشؤوم منذ عدة سنوات، تلك الإصابة التي أدت إلى كسر بججمته مع تهتك للفص الأمامي للمخ والمسؤول عن الكثير من طباع الإنسان، الأمر الذي غيّر من طباعه منذ عودته من الموت المحتم في تلك الحادثة التي تركت له هذا الأثر على جبينه الذي تحسسه الآن متذكرًا ماضيه، إلا أنه كان لا يزال مؤمنًا أن تلك الحادثة كانت صاحبة الفضل لما آل إليه من جرأة، فاتحة له عالم من الخيال داخل عقله كانت سببًا في أغلب الأحيان إلى حل أصعب القضايا كما كانت سببًا في خداعه مرات أخرى.

ارتدى «حلمي مهران» ملابسه السوداء المعتادة التي تتماشى مع جسده الرشيق قبل أن يرمق شاشة التسجيل التي تعرض بقية الشقة التي اتخذ فيها مكتبه الخاص بالمحاماة، ليجد مديرة مكتبه «ماجي» تتحدث إلى شخص ما، فرمق الساعة ليجدها العاشرة صباحًا، فاقترب من الشاشة

في فضول ليجد مَن أمام «ماجي» هو «حازم» نفسه الذي كان ضيف رؤيته السابقة، فأمسك الريموت ليُعلي الصوت ويسمع «حازم» الذي كان يقول لها بوضوح:

- يا فندم إنتي سمعتيني صح، أنا هاتقتل الشهر الجاي، وعايز «حلمي مهران» يكتبلي الوصية.

(١)

خرج «حلمي مهران» إلى مكتبه مُسرعًا ليجد «ماجي» تكاد تطرد «حازم» القادم مع زوجته «دعاء»، وقد توقفوا عند باب المكتب فاستوقفهما:

- على فين يا أستاذ «حازم»؟

توقف «حازم» مندهشًا من سرعة بديهة «حلمي مهران»

- هو صاحبك بلَغك بالسرعة دي؟!

توتر «حلمي مهران» من جملة الرجل جاهلًا بما قد يعنيه حينها، فلقد صار له الكثير من الأسرار مؤخرًا، فهرب منه مشيرًا لهما بالعودة إلى غرفة المكتب، مع اندهاش «ماجي».

- دي سكرتيرتك كانت بتطردني من المكتب!

أزعجها «حازم» بهذا المصطلح الذي كانت تُبغضه «ماجي»، فلقد كان «حلمي مهران» بالنسبة إليها هو الحياة بكل ما فيها.

- معلش؛ أصلها ماكانتش تعرف إنك متوصي عليك.

علّق «حلمي مهران» ليكسب ود الرجل الذي أعجبته الجملة.

- متوصي، حلوة أوي الكلمة دي، وهو ده اللي أنا جايلك علشانه.. الوصية.

قالها «حازم» الذي دخل غرفة المكتب وجلس أمام زوجته «دعاء»، مُعرفًا إيّاها لـ«حلمي مهران» قائلًا:

- أحب أعرّفك الأول، مراتي «دعاء».

- تشرفنا يا فندم.

رد «حلمي مهران» وهو يتذكّر رؤيته لها في رؤياه، فهي ذات ملامح جذابة، سمراء البشرة، بعينين عسليتين ساحرتين، شرد فيهما «حلمي مهران» قبل أن يتذكر «الكاموفلاج» الذي حدث له في قضية سابقة، والذي تعهد بعدها بعدم الانصياع لكل ما يرسمه له عقله المريض.

- أنا زي ما قلت لسكرتيرتك...

- تاني سكرتيرتك! أنا خطيبته على فكرة.

قالتها المثيرة «ماجي» بأنوثتها الطاغية، فلم يكن سنواتها التي زادت عن الأربعين قد هدأت من إثارتها، إلا أنها كانت تفشل دومًا في لفت أنظار «حلمي مهران» المنشغل بعوالمه، لينزعج من إعطاء «ماجي» لنفسها لقبًا دون إذن، غير مُتفهم غيرتها وحبها، ليضحي بها بنظرات لوّامة كادت أن تقتلها، بينما تابع «حازم»:

- المهم، أنا هاتقتل بعد كام يوم.

- أستغفر الله العظيم يا رب، هو في حد منا ضامن الموت من الحياة؟!

علّقت «ماجي» في ضيق وملل من تكرار سماعها للحديث،

قبل أن يتابع «حازم»:

- بصوا بقى، أنا معنديش وقت أضيعه، أنا عارف إن يومي جاي، جوابات التهديد مش هي اللي قلقاني، ومش هي اللي جابتني هنا، أنا اللي جابني هنا اللي حصلّي في ألمانيا.

اقترب «حلمي مهران» من الرجل في فضول، وقد وافق مُسبقًا على القضية:

- احكلي، أنا هسمعك.

***

قبل أسابيع من زيارة «حازم» لـ«حلمي مهران»، كان «حازم» في مدينة هيدلبرج بألمانيا، يتلقى العلاج في أحد مستشفياته المشهورة هناك، آخذًا معه أولاده الاثنين: «زياد» الأوسط، و«يارا» الصغرى، بينما كان لا يزال يبحث عن ابنه الأكبر الذي كان يعلم أنه في مدينة فرانكفورت على بُعد ساعة واحدة من المستشفى، ليتواصل حينها مع أحد أفراد القنصلية المصرية وهو مُستشارها الأمني العقيد «سامح الديب»؛ هذا الرجل المعروف بخدماته لكل المصريين، بل ولكل مَن يطرق بابه، ليرسل «حازم» إلى «سامح الديب» الكثير من معارفه لكسب وده، إلا أنه كان رجلًا نزيهًا لم يتقبل طريقة «حازم» المعتادة في استغلال نفوذه، ليستخدم أسلوبًا آخر مرسلًا تحاليله التي تأكّد «سامح الديب» من صحتها، كما تؤكد تأخر

حالة «حازم» الصحية، ليطلب الأخير منه مساعدته في البحث عن ابنه، ليتعاطف معه ويبدأ بحثًا ميدانيًا عليه بين الجالية المصرية في «فرانكفورت»، وما هي إلا أيام حتى استطاع «سامح الديب» إيجاد ابنه الأكبر «ماجد»، ليشعر بالسعادة وهو يقوم بالاتصال بـ«حازم» الذي كان في غرفته بالمستشفى المطلة على هذا النهر البديع، قبل أن يبتسم فور رؤيته لهذا الاتصال:

- «حازم» بيه، طمني على صحتك، يا رب تكون بخير.

بكياسة من أسلوبه بدأ «سامح الديب» الحديث ليتبع «حازم» نفس الأسلوب:

- بخير يا فندم، طول ما حضرتك موجود.

- يا باشا أنا موجود وابنك كمان هنا.

شعر «حازم» بالسعادة وكاد يشعر بالشفاء وهو يترك سريره.

- بجد يا فندم؟

- جد الجد، وهاجيبه وأجيلك المستشفى.

- بس ده مشوار عليك..

قالها «حازم» مُحرَجًا، ولكنه لم يكن يعرف مدى إخلاص «سامح الديب» في عمله وخدمته لكل من يستطيع وكان «حازم» من هؤلاء، ليُنهي الاتصال في سعادة بالغة وهو يبحث عن أبنائه ليزف لهما الخبر، قبل أن يلفت انتباه

«حازم» تلك الرسالة الموضوعة على المنضدة إلى جانب صينية الطعام، ولقد كان يعلم جيدًا ماهية تلك الرسائل التي تَكرّر إرسالها له مؤخرًا، ولكنه جهل كيف وصلت إليه في ألمانيا، فاقترب منها شيئًا فشيئًا متوترًا حتى كاد يسمع دقات قلبه وهو يمسك بها ليفتحها كاشفًا فحواها المخيف كالمعتاد، والمكتوب باستخدام الحاسوب دون توقيع.

«حازم، لن يستطيع حتى المرض إنقاذك من يَدَيَّ، ستموت في يوم ميلادك، واليوم ستتأكد من قوتي، حين أُعذّبك أمام مرأى ومسمع من الجميع».

قرأ «حازم» الرسالة في توتر، فأعاد الاتصال بـ«سامح الديب»، طالبًا منه تغيير مكان اللقاء، ليصبح في القنصلية نفسها ليكون في مأمن من شر قاتله، ليندهش «سامح الديب» دون أن يعترض، قبل أن يُنهي «حازم» الاتصال في وقت دخول زوجته ليأمرها من فوره بتحضير السيارة والاتصال بولديه اللذَين تحركا على مضَض من فندقهما المجاور للمستشفى، ليتحرك أربعتهم في تلك السيارة المؤجرة ويقودها ابنه الأوسط «زياد»، وهو شاب في الثلاثين من عمره، وسيم الملامح، أبيض البشرة، حليق اللحية، ذو جسد نحيف، وعن يمينه كانت أخته «يارا» العشرينية الشقراء ذات العينين الخضراوين الجميلتين، بينما كان الأب «حازم» إلى جوار «دعاء» في الخلف يرمق هذا الطريق شاردًا.

- ماكانش في لزوم يعني نعمل كل ده علشان نوصل لـ«ماجد»!

قالها الأخ الأوسط «زياد» تعقيبًا على هذا المجهود المبذول من أجل الوصول إلى أخيهم الأكبر.

- حق أبوك إنه يتمتع بأولاده يا «زياد»!

علّقت «دعاء»، ليتهكّم «زياد» مُضيفًا:

- وحق أولاده ياخدوا حريتهم.

بجرأة قالها دون أن يلاحظ أباه الشارد، بينما أمسكت «يارا» يد أخيها ليتوقف، وإن لم يكن تحفظها ذلك خوفًا على مشاعر أبيها، ولكن كان خوفًا من غضبه وتوبيخه لـ«زياد» الذي انتبه عائدًا إلى رشده في آداب الحديث مُضيفًا:

- أنا قصدي يعني إحنا مش مقصرين في حاجة.

- لأ من جهة مقصرين، فكلنا مقصرين في حق «حازم» حبيبي.

بابتذال قالتها لتُثير اشمئزاز «يارا» التي لا تزال متوقفة عن الحديث، حتى وصلوا إلى القنصلية التي استقبلهم فيها «سامح الديب» بحرارة نظرًا إلى مرض «حازم»، ليتجه بهم إلى مكتبه الخاص ذات الديكورات الحديثة وإن كان صغير الحجم حال كل البناية، فجلس أربعتهم وبدأ في مضايفتهم بكرمه المعهود بينما كان كل منهم يرمقه

في فضول ولقد كان «سامح الديب» متوسط البنية، ذا شعر فاتح، قمحي البشرة، ولكن كان ما يميزه لون عينيه الخضراوين النادرتين.

- ابني فين يا «سامح» بيه؟

بلهفة قالها «حازم» قبل أن يستريح ليجيبه «سامح الديب»:

- ما تخافش، دقايق وهيكون موجود، عقبال ما تشربوا قهوتكم.

قالها «سامح الديب» قبل أن يبدأ استخدام حسه الأمني في الاستعلام عن سبب سفر «ماجد» منذ البداية ورفضه العودة إلى مصر، فحاول «حازم» تبرير ذلك:

- «ماجد» يبقى ابني البكري، وكان متعلق بأمه أوي عكس بقية الولاد، ما هو الوحيد إللي لحق «روح»، الله يرحمها.

- «روح»!

علّق «سامح الديب» مندهشًا من الاسم شاعرًا بهيبته ليعم السكون لحظة قبل أن يقاطعه فجأة صوت الطَّرق على الباب، فيفزع الجميع بينما تدارك «سامح الديب» نفسه معطيًا الإذن للطارق في الدخول، ليفتح «ماجد» الباب ويدخل المكتب ليهرع إليه والده بالأحضان، دون أن يُعلق الابن وهو يرمق والده ببرود تعجّب منه «سامح

الديب»، الجاهل للكثير عن عائلة «الشناوي»، بينما احتضن «ماجد» إخوته بحرارة تعكس فرق المشاعر.

- أنا «دعاء».

قالتها «دعاء» معرفة نفسها إلى «ماجد» وهي تمد له يدها لتصافحه.

- مش كان اسمك «رضوى»؟

قالها قبل أن يضع يده على فمه مُتهكمًا:

- آسف، دي كانت مراته الخامسة، معلش أصلي وقّفت عَد.

كان «حازم» بالفعل مِزواجًا، وقد تعددت زيجاته الرسمية منذ وفاة زوجته الأولى «روح»، الأمر الذي جرح مشاعر أولاده، خصوصًا أنه كان يحتفل بكل زيجة بفرح مُبالغ فيه، داعيًا كل مرة جميع معارفه مُستعرضًا قوته المادية مع آخر صيحات الموضة التي يتبعها دومًا مهتمًا بالمظاهر.

- معلش، «ماجد» أصله طالع خواجاتي مش بيفهم في الأصول عندنا.

علّق «حازم» في محاولة لمجاملة زوجته إلا أن «ماجد» تابع تهكمه متسائلًا:

- طب لو أنا مابفهمش في الأصول جاي ورايا ليه؟

قالها «ماجد» وهو يجلس، فيظهر طوله المبالغ فيه، وقوته الجسمانية بعكس بقية إخوته، وإن كان لون الأعين الملونة يجمع بين ثلاثتهم، ليتجمعوا حول والدهم، وتبدأ تلك الجلسة التي شرح فيها «حازم» مرضه لابنه، مُترجيًا إياه بالعودة معه، فلقد كان «لحازم الشناوي» شركة نسيج هي الأشهر في الوطن العربي، وكانت الإدارة في الفترة الماضية مترنحة نظرًا لمرضه وقلة خبرة بقية أولاده.

- أنا يا «ماجد» يا بني عايز أطمّن عليكو، وأطمّن على وجودك مع إخواتك، شركتنا ليها منافسين كتير، وكل اللي بنَيته طول السنين اللي فاتت، ممكن يتهد.

- بس أنا مابحبش النسيج.

علّق الابن في غرور وكبرياء:

- وهو يعني إنت شغال إيه هنا بالظبط؟

تساءل الأب، ليقاطعه «سامح الديب» من فوره، فلقد كان يعلم أن ابن المليونير «حازم الشناوي» يعمل في ألمانيا بمجال الطهي في مطعم مُتواضع يحاول فيه إثبات نفسه منذ البداية.

- مش مهم شغال إيه يا «حازم» بيه، المهم إنكو اتجمعتوا هنا، وأنا بصراحة شايف إن ممكن أستاذ «ماجد» يرجع مع حضرتك يطمّن على إخواته وشغل سيادتك، لغاية ما حضرتك تقوم بالسلامة، وبعد كده بقى يقدر يرجع هنا أي وقت، ما أظنش في حاجة هتطير.

مُلمحًا لوضع «ماجد» قالها، فسكت الأخير لحظة وارتشف رشفة من قهوته، قبل أن يتابع:

- وأنا إيش يضمن لي بعد ما أروح مصر إني أعرف أرجع؟

يندهش «سامح الديب» من حديث الابن قائلًا:

- حضرتك مش قاصر يا أستاذ «ماجد»، وتقدر تاخد باسبورك وترجع في أي وقت، ما إنت معاك إقامة هنا.

- بس بابا ممكن يستخدم نفوذه ويمنع سفري.

علق الابن الذي كان يعرف قسوة ابيه، إلا أن ضعفه كان جليًا للجميع.

- إخص عليك عيل عاق.

قالها الأب منفعلًا حتى كاد يفقد وعيَه، فأسرعت إليه «دعاء»:

- حرام عليك، إيه الجحود ده، إنت معندكش قلب!

شعر «ماجد» بالندم، بينما تصاعد سعال «حازم»، حتى بدأ وجهه في الاحمرار وعيناه في الجحوظ بينما تجسدت من أمامه صورة مبهمة لزوجته المتوفية «روح» ليلفظ اسمها من أمام الجميع:

- «روح»!.

اندهش «ماجد» من سماع اسم والدته، بينما بدأت

الإضاءة في الارتعاش لجأة فتعجب الجميع فهدّأهم «سامح الديب» معلقًا:

- معلش، الكهرباء هنا فيها مشكلة، ما تخافوش.

قالها فهدأ الجميع، إلا أن «حازم» كان قد توقف عن السعال، بل وعن الحركة أيضًا، لتقترب منه «دعاء» صارخة؛ فلقد كاد الرجل أن يتوقف عن التنفس. ضغط «سامح الديب» على زر بمكتبه مستدعيًا الأمن الذي وصل بسرعة متجهين إلى الرجل في محاولة لإنعاشه، إلا أن الموقف كان مخيفًا؛ فلقد كاد «حازم» يُفارق الحياة بالفعل. ابتعد الأبناء تاركين موظفي الأمن في محاولاتهم، قبل أن يرمق «سامح الديب» تلك الورقة الموضوعة على مكتبه إلى جانب «حازم»، فاندهش من وجودها، فلم يلاحظها قبل تعب الرجل، فأمسكها فاتحًا إياها ليجدها إحدى الرسائل المكتوبة على الحاسوب:

«أرجو سرعة أخذ الترياق من جيبك، فليس اليوم موعدك، ولكن اللقاء يوم عيد مولدك».

اندهش «سامح الديب» من الرسالة وأسرع إلى «حازم» باحثًا في جيب جاكيت بدلته، ليجد بالفعل هذا الأمبول، فيتعجّب، ويهاب المسؤولية، قبل أن يتخذ قراره بمروءة خطرة:

- ده أكيد الدواء بتاعه.

قالها وهو يفتح الترياق ليضعه في فم «حازم»، الذي

بدأ التنفس فور ابتلاعه للترياق أمام مرأى ومسمع الجميع، ليتأكد «سامح الديب» من تسمُّم الرجل في مكتبه، ليتملكه بالغضب من جرأة الفاعل الذي كان وسط الحضور! بينما كان «حازم» يستعيد أنفاسه بصعوبة شيئًا فشيئًا وسط توتر الجميع.

- إحنا لازم نرجع المستشفى.

قالتها «دعاء»، فطلب «سامح الديب» ملازمتهم، مُخفيًا الورقة بجيبه في فضول أمني، فلقد كان الرجل ضابطًا من الأساس، وقد كادت جريمة قتل تحدث بمكتبه في تحدٍّ غريب له، فلم يهدأ حتى يستعلم عن الأمر بنفسه. ليعرّف نفسه إلى طبيب المستشفى فور وصوله، طالبًا منه تقريرًا بما حدث لـ«حازم»، فاكتشف الجميع أن الرجل كان قد سُمّم بالفعل، وأن هذا الترياق كان حقًا خلاصه الوحيد، لتبدأ إدارة المستشفى في الاستنفار، قبل أن يستعيد «حازم» وعيه ويطلب الانفراد بـ«سامح الديب» في غرفته ليطلب منه التستر على الفاعل، وسط اندهاش «سامح الديب» الذي قال:

- يعني إيه، إنت اتسمّمت، وفي مكتبي!

- بس ماكانش في حد غريب، دول ولادي ومراتي اللي هيتبهدلوا، وبعدين إحنا في غُربة وأنا مش حِمل العاطل بيجي في الباطل.

تفهّم «سامح الديب» جيدًا حديث الرجل، فاستغل

وظيفته الدبلوماسية لإبعاد الكثير من التحقيقات السخيفة عن تلك الحادثة، خاصة مع رفض «حازم» تقديم أي شكوى، ليخرج «سامح الديب» من غرفة الرجل متوجهًا إلى زوجته وأبنائه الثلاثة بالحديث وسط المستشفى:

- أقسم بجلال الله، لولا الراجل التعبان جوة بين الحياة والموت ده، أنا كان هيبقى ليا موقف تاني.

- وإحنا مالنا!

تساءل «ماجد» الأكبر، قبل أن يرفع «سامح الديب» الورقة التي يعرفها أغلبهم، فتُمسك الأخت يد أخيها الأكبر ليصمت:

- «ماجد»، من غير كلام كتير، أنا لو بلّغت باللي حصل ده، إنت هتترحل في دقيقة.

بذكاء استطاع «سامح الديب» كسر كبرياء «ماجد» الكذاب، قبل أن يتابع آمرًا إياه:

- إنت هتنزل مصر مع أبوك لما يقوم بالسلامة، وأنا أول ما أخلص انتدابي في الخارجية الفترة الجاية هارجع مصر، وهيبقى لينا كلام كتير.

بقوة قالها «سامح الديب»، الذي كان بالفعل على وشك إنهاء تكليفه بالخارجية والعودة إلى مصر قريبًا.

***

اندهش «حلمي مهران» من حديث «حازم» المطول،

لتتراكم في عقله التساؤلات خاصة أن القاتل صار محددًا فهو بكل تأكيد كان أحد الحاضرين في مكتب «سامح الديب»:

- كان في حد غيركو في مكتب «سامح»؟

تساءل «حلمي مهران» فلم يكترث «حازم» بالإجابة ليجن جنون «حلمي مهران» موضحًا:

- ما هو إنت لو عايز تعرف مين اللي عايز يقتلك، لازم تعرف مين بالظبط اللي كان في المكتب غيركو، لأن القاتل مش هيطلع براهم.

تفهم «حازم» وأكد للرجل الحضور فلم يكن هناك غيرهم بالفعل:

- مكنش في غيرنا والله، وتقدر تتأكد من العقيد «سامح الديب» بنفسه، بس فِكرك ده هيوصلنا لحاجة؟

بالإيجاب أكّد له «حلمي مهران» متحمسًا قبل أن يستوقفه «حازم» موضحًا:

- وإيه الجديد وأنا عارف أن اللي هيقتلني من دمي يا «حلمي»!

مُتهكمة تدخّلت «ماجي» مُعلقة:

- تقصد اللي عايز يقتلك...

توقف «حازم» معترضًا.

- لأ.. اللي هيقتلني، وتقدري تتأكدي من «حلمي».

قالها «حازم» وهو يرمق «حلمي مهران»، لتنظر له «ماجي» مندهشة دون أن يعقب، فلقد كان يعرف أن «حلمي مهران» صار يصدقه وأن شغفه قد حرك فضوله ليصبح أسير تلك القضية، ليزيد من استفزازه قائلًا:

- أنا عارف إن «حلمي» مصدقني زي ما أنا عارف أنه أضعف من إن يوقف اللي هيقتلني.

- إنت بتقول إيه؟!

مُعترضة تدخّلت «ماجي» في غيرة مهنية على «حلمي مهران» المتوقف عن الحديث، ليتابع «حازم»:

- بس أنا مسامح، ده عمري، ومحدش بيموت ناقص عمر، المهم لما أتقتل إنك تقدر تعرف مين اللي قتلني. أرجوك، المهم الوصية.

***

(٢)

من مكتب العقيد «هشام»، كان «حلمي مهران» مع «ماجي» يحاول الوصول إلى معلومات حول «سامح الديب» للتأكد من ادّعاءات «حازم»، خاصة بعدما علم أنه كان ضابط شرطة في الأساس، ليصبح من السهل على صديق عمره «هشام» الوصل له، فلقد كان «هشام» يعمل في المباحث منذ سنوات، ساعد فيها «حلمي مهران» دومًا على قضاياه، ليصيرا أقرب صديقين، رغم تعلق «هشام» بـ«ماجي» وغيرته في الكثير من الأحيان من «حلمي مهران» نظرًا لتعلق «ماجي» به، لتظل علاقاتهم ببعضهم البعض غريبة ومختلفة، فتارة يعطي «حلمي مهران» المجال لـ«ماجي» لتقترب إليه فتهمل «هشام» وتارة أخرى يهملها هو فيشتغل «هشام» الموقف ويتقرب لها، إلا أن الزمن قد بدأ يتمكن من كل منهم، ليعيد كل منهم التفكير في أولوياته.

من على مكتبه ظهر على «هشام» التحفُّظ، فلقد كان يعلم بعض المعلومات عن عالم «حازم»، إلا أنه كان يحاول الحفاظ على أسرار عمله من أجل نفسه وذاته، فلقد بات يشعر أن عالمه صار مُستباحًا لصديقه، مما حرمه من أي نجاح شخصي، رغم أن «هشام» كان الأقوى بدنيًا والأمهر في المهارات القتالية واستخدام السلاح، كما كان ذكيًا، إلا أن مهارة «حلمي مهران» كانت في اتباعه لمسالك مختلفة غير متوقعة في كل قضية، فلم يكن فقط يتبع

حدسه، بل كان ذكاؤه الشديد منذ الصغر ونشأته وحيدًا سببًا في نظرته المختلفة التي ظنها معلموه في صغره مرضًا يؤخره تعليميًا، فلم يكن منهم من يستطيع استيعاب عقليته الفريدة والمختلفة.

- يعني لو الكلام ده طلع صح، هيفرق معاك إيه؟

تساءل «هشام»، ليجيب «حلمي مهران» من فوره:

- لو «الديب» طلع فعلًا ضابط شرطة، وأكدلنا أن الواقعة حصلت بجد في القنصلية، يبقى إحنا قدام قاتل مش عادي، وده تحدي مُغري طبعًا.

وافقه «هشام» ووعده بالتقصي عن «سامح الديب»، قبل أن يدخل مساعده «فريد» عليهم دون أن يطرق الباب كعادته قائلًا:

- «هشام» بيه، سيادة اللواء «ضياء» عايزك.

وقف «هشام» فور سماع اسم رئيسه في العمل قائلًا:

- طيب أنا جاي، واستعجل لنا السؤال عن «سامح الديب».

- دقايق يا فندم وهتكون أخباره عند سيادتك.

- تمام، وإنت خليك هنا يا «حلمي» أنا مش هاتأخر.

قالها قبل أن يغادر مع «فريد»، تاركًا «حلمي مهران» مع «ماجي» التي بدأت انتقادها:

- أنا مش عارفة بجد القضايا اللي إنت بتختارها دي بتبقى بناءً على إيه!

- في إيه يا «ماجي»، أنا حر.

- لأ مابقتش حر، إحنا بقى عندنا مكتب واسم ومسؤوليات، مش معقولة نسيب كل القضايا السالكة اللي عندنا، ونجري ورا جرايم لسه ماحصلتش أصلًا!

بمنطقية علقت «ماجي» التي كان مكتب «حلمي مهران» مشروع عمرها لتحرص دائمًا على مصلحته حتى وإن كانت ضد أهواء «حلمي مهران» نفسه.

- هتحصل يا «ماجي»، وده الفرق بيني وبينك، أنا باشوف اللي محدش غيري بيشوفه.

بغرور قالها، لتمل هي من تكبُّره، وبطريقة تلقائية تبدأ في جرحه بكلمات ثقيلة قائلة:

- ومش دايمًا بتطلع صح، بس الحاجة الوحيدة اللي ثابتة فيك هي عنادك، إنت ما بتسمعش غير نفسك، وأنا زهقت ومحتاجة أتسمع.

في غضب خرجت فكانت قد وصلت إلى حد الهاوية بالفعل، رغم حبها وتعلقها بـ«حلمي مهران»، فصوته الأوحد كان كافيًا لهدم الكثير من العلاقات حوله، حيث كانت المعلومات تثقل عقله متخذًا الكثير من المجهود لنطقها ليتم استنفاده قبل أن يسمع من حوله،

حيث كانت قشرة مخ «حلمي مهران» مُستنفرة على طول الخط، فهو متأهب دائمًا للتغيرات، حتى صار مُنهك القوى، لا يتحمل الانتظار، قد ضاقت أذناه عن الاستماع، وذلك من كثرة الأفكار المزدحمة في عقله.

خرجت «ماجي»، بينما ظل «حلمي مهران» للحظات واقفًا في غرور قبل أن يُقرر التحرك خلف «ماجي»، إلا أن القادم ذا العينين الخضراوين المميزتين قد استوقفه:

- مساء الخير، مش ده مكتب العقيد «هشام»؟

- أيوة يا فندم، هو دقايق وجاي، مين سيادتك؟

أجاب «حلمي مهران» وهو يرمق الرجل وكأنه يعرفه.

- أنا العقيد «سامح الديب»، عرفت إنه بيسأل عليَّ وكنت معدّي، فقلت أستفهم.

ابتسم «حلمي مهران» مُرحبًا بضيفه الذي كان هو من يبحث عنه في الأساس، لينسى «ماجي» التي كانت في الخارج تنتظر خروجه خلفها، حتى شعرتْ بالانكسار وتركت المبنى كله، بينما كان هو مُتماهيًا مع «سامح الديب»، الذي قصّ عليه كل ما حدث في القنصلية بكل تفاصيله في وقت قارب على الساعة الكاملة لم يمل فيها «حلمي مهران» من الاستماع عكس عادته، ليشعر أن «سامح الديب» صار من المقربين فجأة، فلقد كان مريحًا في الحديث يتمتع بكاريزما مختلفة.

- يعني اللي حكاه «حازم» كان مظبوط؟

علّق «حلمي مهران» بعد سماعه القصة كاملة.

- فعلًا يا «حلمي» بيه ده اللي حصل، يعني كان في قاتل موجود في مكتبي.

قالها وهو يرمق الفضول على «حلمي مهران» ليُجيبه قبل أن يسأل:

- من غير ما تسأل، أنا ظابط شرطة في الأساس، وعملت تحرياتي، وأقدر أشاركك كل اللي وصلتله، بس يا ريت تيجي معايا برة، عندي نوتة أنا كاتب فيها كل حاجة.

وافقه «حلمي مهران» من فوره، وخرج إلى جوار الرجل الذي شعر فجأة بالكثير من العوامل المشتركة بينهما والتي جهل مصدرها في تلك اللحظة، حتى وصلا إلى الخارج، حيث جراج السيارات، ليختفي «سامح الديب» عن أنظار «حلمي مهران» فجأة للحظات:

- هي ده الأجندة اللي فيها كل حاجة.

قالها «سامح الديب» ليندهش «حلمي مهران»، حيث لم يعِ كيف وصلت تلك الأجندة إلى يده، حتى إنه لم يرَ سيارة «سامح الديب» وكيف غادر ومتى عاد من أمامه:

- كل حاجة بتدوّر عليها، في النوتة دي.

تابع «سامح الديب» بينما ظل «حلمي مهران» شاردًا فيما حدث دون أن يتقبل ما حدث ليتساءل:

- هو إنت عربيتك فين؟

- مش مهم، المهم النوتة دي، فيها كل حاجة بتدوّر عليها، وكل ما هتحتاجني هتلاقيني جنبك.

انفعل «حلمي مهران» وهو يلتفت في رفض معطيًا الرجل:

- لأ، لازم أفهم، أنا «حلمي مهران»..

- وأنا «سامح الديب».

بثقة غريبة قالها ليهدأ «حلمي مهران» ويعود لرشده ويلتفت إلى الرجل مرة أخرى، إلا أنه وجد الرجل قد اختفى، ليجن جنونه وهو يبحث عنه وسط جراج السيارات:

- إنت فين؟

من خلفه استوقفه «هشام» مندهشًا:

- إنت هنا يا «حلمي» وسايبني أدوّر عليك جوة!

لم يُجِب «حلمي مهران» وظل يبحث بعينيه عن «سامح الديب»، فتابع «هشام»:

- تليفونك وحاجتك جوة، و«ماجي» مشيت زعلانة وأنا بادوّر عليك.

في كبرياء بدأ «حلمي مهران» الحديث وهو منزعج:

- معلش، أصلي كنت واقف هنا مع العقيد «سامح الديب» بس هو مشي فجأة.

ازداد توتر «هشام» الذي ابتسم قائلًا:

- هيّ اشتغلت؟

- تقصد إيه؟!

تساءل «حلمي مهران»، ليُجيبه «هشام» المعتاد على جنون صديقه وكاماته بالحقيقة.

- أصلهم بلّغوني إن العقيد «سامح الديب» تعيش إنت من سبتمبر اللي فات.

- أفندم!

توتر «حلمي مهران» الممسك حاليًا بأجندة «سامح الديب» بالفعل، فيفتحها من فوره ليتأكد ويجد فيها كل مسوداتها لقضية «حازم»

- إزاي ما النوتة فيها قضية «حازم» فعلًا.

- لأ اهدا كدة وفهمني في إيه، ومين إللي اقدالك النوتة دي؟

- بقولك «سامح الديب» نفسه وهو كان هنا.

قالها في جنون وهو يلتفت إلى وسط الجراج، ليجد فيه هذا الكائن الغريب.

- إيه ده؟

تعجب «هشام» فلقد كان هناك ذئب يتوسط المكان ويرمق «حلمي مهران»:

- ده «ديب».

قالها «هشام» خائفًا، بينما اقترب «حلمي مهران» من «الديب» رامقًا عينيه الخضراوين المميزتين، حتى تأكد من هوية هذا «الديب» الذي بدأ في التحرك بهدوء بجوار كلب من فصيلة يعرفها «حلمي مهران» بالفعل، فلقد كان «الديب» يسير إلى جانب «ابن آوى» في تناغُم فريد، ولقد كان «ابن آوى» الفصيلة المفضلة التي تعكس أيديولوجية «حلمي مهران» في تطبيقه للعدالة، حتى صار «ابن آوى» رمزًا له، ظل «حلمي مهران» متوقفًا مستمتعًا بالمشهد وهو يرى هذا «الديب» وهو يتحرك مع «ابن آوى» فلقد كانا في الأصل من نفس الفصيلة، وأصبح كلٌّ منهما صديقًا وفيًّا للآخر.

***

وصل «حلمي مهران» مع صديقه العقيد «هشام» إلى مكتب العقيد «سامح الديب» ليتأكدا من صدق معلومة وفاته، ليقابلا هناك رئيسه الذي أكد لهما الأمر، قبل أن يعطيهما إذنًا استثنائيًّا بدخول مكتبه ليتعرف «حلمي مهران» على صورة «سامح الديب» التي كانت موضوعة على مكتبه، والمطابقة لرؤياه، فيتيقن أنه لم يكن حلمًا عاديًا، مع وجود تلك الأجندة التي ظلت لغزًا يُحيره، خاصة أنه

قد رمق بعض المخطوطات الموضوعة على مكتب «سامح الديب» والمطابقة لخط يده في الأجندة، ليطلب «حلمي مهران» العودة إلى مكتب منزله للبدء في قراءتها بتأنٍ:

- يلَّا أنا عايز أرجع المكتب.

قالها «حلمي مهران» ليوافقه «هشام» ويخرج معه إلى سيارته المصفوفة بالخارج، قبل أن يلمح كلٌ منهما هذا «الديب» الواقف أمامهما، ليتوتر «هشام»:

- هو في إيه بقى، إيه القلق ده؟

قالها «هشام» متوترًا، بينما ابتسم «حلمي مهران» مقتربًا من «الديب».

- إنت بتعمل إيه يا «حلمي»؟

تجاهله «حلمي مهران» وهو يرفع يده ليحيي «الديب» من بعيد في مشهد غريب لم يستوعبه «هشام» قائلًا:

- إحنا بنبعد أوي.

ساخرًا قالها «هشام» مشيرًا إلى تمادي «حلمي مهران» وجرأته في كل ما هو خارج نطاق المنطق، قبل أن يبتعد «الديب» حين يقترب «هشام»:

- «الديب» ده يا «هشام» نجول جدًّا في التعامل مع البشر، عزيز النفس يحب يتعب على أكله، لازم يصطاده بنفسه، ما بياكلش الجيفة زي الضبع، صبور وشجاع ولياقته عالية.

قالها وتوجها إلى السيارة ليقودها «هشام»، بينما بدأ «حلمي مهران» قراءة أجندة «سامح الديب» متماهيًا في تفاصيلها، فلقد كان «سامح الديب» قد سبقه في الكثير من التحريات المدوّنة في تلك الأجندة بالفعل، ليتابع «حلمي مهران» القراءة مكتشفًا الكثير والكثير عن «حازم» وأبنائه حتى وصل إلى عشرة من الأسماء التي كان القاتل وسطهم بالفعل.

وصل «حلمي مهران» إلى شقته التي بها مكتبه، حيث كانت مساعِدته «ماجي» هناك، فنهرته فور دخوله مع «هشام»، بعدما تركها في الصباح عند مكتبه دون أن يتبعها ليبدأ الدفاع عن نفسه حال أي رجل في الخليقة.

- أنا كنت جاي وراكي.

قالها «حلمي مهران» ثم توقف حين تذكر أن حجته واهية خالية من المنطق لتتابع هي هجومها:

- جيت فين؟ أنا استنيتك كتير برة، على أمل إنك تحس بيا وتطلع ورايا، لكن كالعادة أنا آخر اهتماماتك، كل همّك نفسك وبس.

لم يستطع «حلمي مهران» الدفاع عن نفسه أو ذِكر هذا الزائر المتوفي «سامح الديب» الذي رأه في مكتب «هشام»، الذي امتنع هو الآخر عن الحديث، فلقد كانت فرصته للاقتراب أكثر من «ماجي» التي كانت حب عُمره.

- أكيد «حلمي» مشغول بالقضية يا «ماجي».

- قضية إيه؟ قتيل لسة ما اتقتلش!

- هيتقل لو إحنا ما اتصرفناش يا «ماجي».

قالها «حلمي مهران» بثقته المعهودة قبل أن تدخل المكتب الآن الصحفية «حنان» غريمة «ماجي» المندهشة:

- «حنان»، إنتي إيه اللي جابك هنا؟

- أنا اللي كلمتها يا «ماجي».

وضّح «حلمي مهران» ليزيد من هَم «ماجي» كاسرًا من خاطرها، فلقد كانت تعلم أن الصحفية «حنان» حاولت التقرب من «حلمي مهران» وأنه هو الآخر كان حلمها البعيد، ولكنه صدها كما صد «ماجي» فمنذ عودته للحياة بعد الحادث وهو مهتم بقضاياه دون البشر، الأمر الذي زاد من جاذبيته للنساء، خاصة أنه صار أكثر جرأة من قبل، بل ومن الجميع، فلقد واجه الموت نفسه من قبل، فبات يشعر أن الحياة مجرد رحلة لم يعد يهتم بنهايتها.

أخذ «حلمي مهران» «حنان» إلى صالة الشقة خارج غرفة مكتبه، ليتحدث معها على انفراد، تاركًا «هشام» مع «ماجي» ليصطاد في المياه العكرة بينما اقترب هو من «حنان» في الخارج ليعطيها بذور خطته، طالبًا منها نشر خبر على وسائل التواصل الاجتماعي لصحيفتها والتي كان فحواه تحدي «حلمي مهران» المشهور في الشارع لهذا القاتل

المغرور المتربص بـ«حازم الشناوي». غادرت «حنان» واتجهت إلى الجريدة لتقوم بصياغة هذا الخبر المستفز أمام زميلتها الساخرة «سالي» ذات الجسم الممتلئ نسبيًا ومديرها «تيم» الأرستقراطي ليتهكم كل منهما على ما تفعل.

- إنتي هتنشري خبر عن قتيل قبل ما يتقتل؟!

علّق «تيم» دون أن يمتلك الجرأة للاعتراض، فلقد كان لا يزال متعلقًا بها من طرفه لا يزال يبحث عن فرصة، لتندهش «سالي» من سلبيته معلقة:

- ما سيادتك اللي مدّيها التصريح بالنشر أهو!

- ما هو أنا بثق في «حنان».

قالها «تيم» مبتسمًا لـ«حنان» التي ردت قائلة:

- وأنا باثق في «حلمي».

- حسبي الله ونعم الوكيل.

أضافتها كعادتها «سالي» مبتسمة، بينما هي تقرأ الخبر الذي تكتبه زميلتها الجميلة «حنان».

«تهديد رجل الأعمال «حازم الشناوي» بالقتل، على يد قاتل مجهول في عيد ميلاده القادم، فهل يستطيع القاتل تنفيذ تهديده، أم يستطيع «حلمي مهران» منعه في الميعاد؟».

انتشر الخبر بسرعة على صفحات التواصل الاجتماعي،

نظرًا لشهرة «حازم الشناوي» و«حلمي مهران»، ليصل ذلك إلى القاتل الذي كان الآن في غرفته المجهزة بالكثير من الشاشات التي تعرض لقطات من كامل عقارات «حازم الشناوي»، فلقد استطاع القاتل اختراق كل كاميرات المراقبة التي يمتلكها الرجل، حتى يستطيع متابعة ما يفعل في كل أنحاء حياته، حتى إن هاتفه لم يَسْلَمْ من المراقبة، فلقد زرع فيه القاتل برامج تتبُّع، ليجعل من «حازم» شخصًا عاريًا بالكامل أمامه، حيث بات يستطيع قراءة كل رسائله واتباع كل اتصالاته، حتى إنه كان يسجل جميع مكالماته، وجعل من هاتفه جهاز تسجيل يستطيع أن يتنصت به حتى على حياته اليومية، ليشعر القاتل بالفخر وهو يكتب في مدونة على الإنترنت رده على الخبر كالآتي:

«سعيد بمواجهة «حلمي مهران»، لأضع حدًّا لأسطورته الكاذبة، فسيُقتل «حازم الشناوي» في الميعاد أينما كان، ولن يستطيع أبدًا الفرار مني، فأنا قدره».

وبالطبع انتشر رد هذا القاتل هو الآخر على صفحات التواصل الاجتماعي، نظرًا لجرأته، ليتأكد الغالبية من صدق التعليق، وصولًا إلى «حازم» ليذهب من فوره إلى «حلمي مهران» في مكتبه.

- ما تخافش، أنا اللي نشرت الخبر.

علّق «حلمي مهران» صادمًا جميع الحضور، وهم «حازم»

وزوجته «دعاء» من أمام «هشام» و«ماجي» التي بدأت تستمتع بالرحلة دون أن تجهر بذلك.

- إنت اللي نشرت الكلام الفارغ ده؟!

علّقت «دعاء»، ليقف «حلمي مهران» في تحدٍّ وجرأة:

- باقولكو إيه، إنتو جيتوا مكتب «حلمي مهران»، وأنا قبلت القضية، وأنا مليش كبير، لو عايزيني أكمّل يبقى أنا اللي هاسوق.. ولوحدي.

بغروره المعهود قالها، ليبتسم «هشام» من جانب «ماجي»، بينما توقفت «دعاء» في انفعال متسائلة:

- يعني إيه؟!

- يعني لو «حازم» بيه عايزني أكتب وصيته، قبل عيد ميلاده اللي فاضله كام يوم ده، يبقى أنا هحتاجه لوحده.

بوضوح قالها «حلمي مهران» لتندهش «دعاء» معلقة:

- إنت بتطردني؟

- بالظبط كده.

متحديًا إياها قالها، لتتجه هي إلى «حازم» الذي هرب من نظراتها وهو يقول:

- «دعاء» تقدري تروّحي بالعربية، السواق برة، وأنا هارجع لوحدي.

- إنتو بتشكوا فيَّ دلوقتي؟

تساءلت «دعاء» حين تخلى عنها زوجها ليتدخل «حلمي مهران» في حزم:

- لو سمحتي يا «دعاء» هانم، لو مش عايزاني أشك فيكي، يا ريت تسمعي كلام «حازم» بيه.

بقوة صادمة قالها، زارعًا الخوف في قلبها، ليتدخل «هشام»:

- إحنا هنوصلك يا مدام «دعاء»، عشان «حلمي» بس ياخد راحته مع «حازم» بيه.

- هو أنت عايزنا إحنا كمان نمشي يا «حلمي»؟

تعجبت «ماجي» متسائلة، ليتابع «هشام»:

- هنرجع تاني بس نوصل المدام.

وقفت «ماجي» في غضب متزايد لتغادر مع «دعاء» المنكسرة تاركة المجال لـ«حلمي مهران» الذي بدا كالمايسترو يعزف أنغام خطته بوضوح؛ ليبدأ شرح ما فعلته «حنان» بتوجيهات «حلمي مهران» نفسه، والممسك الآن بأجندة «سايح الديب» أمام «حازم» منفردًا ليتابع:

- اللي هيقتلك مش هيخرج من الأجندة دي.

ابتلع «حازم» ريقه متسائلًا عن ماهية تلك الأجندة، قبل أن يُتابع «حلمي مهران»:

- وعلشان كده، أنا هاحتاج أعرف كل حاجة عن

الأسماء الموجوده هنا.

قالها مزيدًا من فضول الجميع حول تلك الأسماء التي بدأ «حلمي مهران» ذكرها.

- الأسماء المكتوبة هنا مش كتير، بس هاحتاج أعرفهم كلهم.

- اللي هما مين؟

تساءل «حازم» قبل أن يُجيبه «حلمي مهران»:

- تقصد الأسامي اللي مكتوبه غير اسمي واسمك؟

- تقصد إيه؟!

تساءل «حازم» مندهشًا ليوضح «حلمي مهران»:

- أصل أنا شخصيًّا اسمي مكتوب هنا.

كان بالفعل اسم «حلمي مهران» مكتوبًا داخل تلك الأجندة؛ حيث ظنّ أن زميله السابق بالداخلية «سامح الديب»، كان ينوي أن يعطيها إياها حين اشتد عليه المرض ليتابع تلك التحقيقات.

- هو «سامح» بيه كان وصل لحاجة؟

تساءل «حازم» بعدما علم بوفاة الرجل المخلص، ليمسك «حلمي مهران» الأجندة على تحقيقات «سامح الديب» التي بدأت في هيدلبرج، حين ذهب إلى الشقة التي استأجرها «حازم» لأهله حين كانوا هناك وقت تلقيه العلاج.

***

من مدينة هيدلبرج وبعد أيام من تسمم «حازم»، صعد «سامح الديب» هذا الطريق المطل على النهر، مستمتعًا بجمال الطبيعة، فلقد كان يعرفه عن ظهر قلب، حيث كان يتلقى العلاج في نفس المستشفى أعلى هذا الجبل الخلاب، حتى وصل إلى شقة «حازم الشناوي» المستأجرة وطرق بابها، ففتحت البابَ حينها ابنتُه «يارا» التي لم تنطق بكلمة كعادتها في عدم ترحيب بالرجل الذي رمقها بهدوء:

- ممكن أدخل؟

بالنفي حركت «يارا الشناوي» رأسها، ليبتسم «سامح الديب» المتوقع لتلك الإجابة:

- كنت متأكد إنك هتقولي كده، أنا بس جاي أسألك، الملحن الجميل «مهند» بيعمل إيه هنا في ألمانيا؟

تغيرت ملامح «يارا» التي ابتلعت ريقها، ثم فتحت الباب مشيرة إليه ليدخل، فيبتسم «سامح الديب» وهو يرمق المكان بدقة قبل أن يجلس على منضدة دائرية للطعام، كانت تتوسط المكان أمام مطبخ صغير مفتوح على الصالة المطلة على النهر الذي يخترقه كوبري بسيط يسر الناظرين.

- أنا جيت النهارده بصفة غير رسمية، لكن صدقيني لو جيت بطريقة رسمية مش هتتكلم هنا قدام المنظر الخلاب ده.

مشيرًا إلى الكوبري قالها، لتجلس هي في خضوع:

- إنت عايز تعرف إيه؟

قالتها وهي تجلس سانِدة على الكرسي بصعوبة لاحظها «سامح الديب» بسرعةِ بديهة لا يمتلكها الكثيرون.

- أخيرًا سمعت صوتك!

***

(٣)

من عدة سنين كانت «يارا» مندهشة من دعم والدها «حازم» لها، فلقد كان الرجل قد وافق على إنتاج ألبوم غنائي لها، في لفتة غير متوقعة، لتشعر أنها كادت أن تمتلك الدنيا، حتى إنها ظنته يسخر منها:

- بابا، إنت بتضحك عليَّا، صح؟

قالتها متسائلة من حديقة فيلتهم الخاصة بالساحل الشمالي، حيث كان «حازم» جالسًا بملابس صيفية لا تخلو من أرستقراطية إنجليزية فخمة.

- ليه بتقولي كده يا «يارا»، إنتي فعلًا صوتك حلو.

صادقًا قالها، فلقد كانت «يارا» ذات صوت يُطرب الآذان.

- طيب وهو إنت هتنتجلي الألبوم إزاي يعني؟

- ولا حاجة، هاجيب «مهند» ابن عمك، ما هو مُلحن شاطر وأكيد عنده معارف، وهو يختار معاكي الأغاني ويشرف على كل حاجة، وأظن يعني إنك بتحبي «مهند».

عن قصد قالها لتُحرج «يارا» وهي تُخفي نظراتها خلف شعرها الأشقر:

- تقصد إيه يا بابا؟

ساخرًا يتابع «حازم»:

- قصدي يعني معندكيش مشكلة معاه.

- آه طبعًا، مش ابن عمي الكبير!

يبتسم «حازم» وهو يضع يده في خصر ابنته معاكسًا:

- ابن عمك بس؟!

- جرَى إيه يا بابا؟

- جرَى إيه يا بابا برضه! يا بنتي ده أنا عاجنِك وخابزِك، عمومًا هو أنا أكره، ده ابن أخويا الله يرحمه.

يزداد خدّا «يارا» احمرارًا وخجلًا وهي تهرب من الحديث، قبل أن يتابع «حازم»:

- عمومًا إحنا نجيب «مهند» ونبدأ شُغل ونبقى نتكلم عن الفرح بعدين.

- يا بابا بقى!

في خجل قالتها قبل أن تتركه وتتجه ناحية الفيلَّا، بينما تابع هو حديثه رافعًا صوته لتسمعه:

- عايزين الألبوم ينزل قبل ما الصيف يخلص يا فنانة.

التفتت «يارا» إلى أبيها الحنون مُندهشة من تلك الفرحة، مُستغربة شكوى الجميع من قسوة الدنيا التي عكس الجميع تعطيها كل شيء!

***

من مدينة هيدلبرج، تابعَ «سامح الديب» تحقيقه مع «يارا» التي بدأت عيناها تدمعان وهي تتابع قص حكايتها، بينما كان هو قد تذكّر أغنية من أغانيها:

- أيوة أنا افتكرتك، إنتي كنتي عاملة أغنية فعلًا، أنا سمعتها.

ابتسمت «يارا» وهي تمسح دموعها:

- مصر كلها سمعتها.

قالتها ثم بدأت «يارا» تتابع سرد قصتها من داخل استوديوهات والدها حين بدأ «مهند» تلحين أغانيها الأولى من أمام والدها المستمتع بصوتها العذب.

- الله الله عليكي يا بنتي، إيه الجمال والحلاوة دي!

- البركة في «مهند» يا بابا.

في دلال قالتها لتنسب الفضل إلى حبيبها ليوافقها الأب وهو يرمق «مهند» بشيء من الترقب، وقد كان وسيمًا مهندمًا، ذا شعر طويل ملفوف كذيلِ حصان.

- لا أبدًا، إنتي اللي صوتك مطلّع الألحان حلوة.

رامقًا «يارا» قالها «مهند»، ليتأكد «حازم» من حدسه وهو يهمُّ بالمغادرة.

- طيب يا ولاد، أنا فرحان بيكو والله، إن شاء الله نستمتع بنجاح الألبوم قريب، خلي بالك من «يارا» يا

«مهند»، دي روحي.

- طبعًا يا عمي، ما تقلقش.

قالها «مهند» ليُكمل تلحين أغنية «يارا» الأولى التي استمتعت هي بكل تفاصيلها.

- ها وبعدين؟

تساءل «سامح الديب» في محاولة للاستفهام عمّا ترغب «يارا» في قَصّه:

- إنت مش سمعت الأغنية وعجبتك يا «سامح» بيه؟

- جدًّا الصراحة.

كانت بالفعل أغاني «يارا» قد انتشرت كالنار في الهشيم على كل منصات التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى كل منصات الموسيقى، حتى إنها قد تعدّت أغاني أشهر نجوم الغناء في الوطن العربي، وصولًا لهذا اليوم الذي توقفت فيه بث أغانيها فجأة، وسط ذهول مُتابعيها في كل مكان.

- أيوة فعلًا أنا مابقتش بالاقي أغنيتك اللي بحبها فجأة، إيه اللي حصل؟

تساءل «سامح الديب»، لتشرد «يارا» قاصّة عليه هذا اليوم الذي استيقظت فيه على هذا الكابوس فجأة، حين تم حذف كل أغانيها، فتوجهت مع «مهند» إلى مكتب والدها ليساعدها.

- بابا الحقني!

قالتها «يارا» وهي تبكي، ومن بعدها شرح «مهند» لعمه:

- يا عمي كل أغاني «يارا» اتمسحت.

من مكتبه ظلَّ «حازم» يرمقهما بهدوء مريب وهو يُخرج ملفًا من درج مكتبه قائلًا:

- إحنا اللي وقفنا الأغاني.

- إنتو مين؟

تساءل «مهند» مندهشًا:

- إحنا شركة الإنتاج.

أجابه «حازم» الذي تحول إلى شخص آخر فجأة.

- أيوة ليه؟

- ولا حاجة، إحنا حُرّين.

بقسوة ظالمة أجاب لتقف «يارا» في ذهول قائلة:

- يعني إيه يا بابا، ما تفهّمني.

- إنتي اتجننتي يا بنت!

صارخًا قالها «حازم» وهو يقف، ضاربًا المكتب بيده ليعم السكوت المكان، كاشفًا عن وجهه الآخر الذي يخفيه عن الجميع.

- إحنا أصحاب الشركة وأصحاب الأغاني دي، نُنشرها

بقى أو نمسحها خالص إحنا حُرّين قلتلكو.

- بس ده مجهودنا.

علقت «يارا» دامعة ليتابع«حازم» شره:

- بس بفلوسنا، وبعدين يا «يارا» هانم، أحب أفكّرك إنك ماضية عقد احتكار عشر سنين، يعني ما تقدريش تغني أو تنشري أغنية أو تسمّعي حد صوتك إلا بإذننا.

- في إيه يا بابا، إنت بتكلمني كده ليه؟!

دامعة العين والخوف يملأ قلبها تساءلت عن سبب قسوته.

- علشان ده دوري، إوعي تفتكري يا ست هانم إني كنت نايم على ودني والبيه بيتمحلِسلك كل شوية.

- أنا يا عمي؟!

اندهش «مهند» الذي لم يكن يتخيل ما ينوي عليه عمه.

- أيوة إنت، أنا عارف إنك جاحد، وحاقد عليا بسبب أبوك، هو عمره ما كان زيي ولا يقدر يكون، كان لازم يعيش ويموت شحّات، علشان إنت تبقى صايع زيه، وطبعًا تحلو في عينك بنتي الهبلة.

بقسوة قالها مُظهراً وجهًا لم يكونا يتخيلانه أبدًا:

- أنا عمري ما طمعت في «يارا».

- ما هو إنت مش هتقدر، لأنك ماضي في العقد بتاعك على عدم التعرض لينا خلاف وصولات أمانة بأكتر من

١٠ ملايين جنيه.

قالها «حازم» وهو يُخرج ملفًا به عقد «مهند» أمسكه ليقرأه للمرة الأولى مندهشًا:

- وهو أنا المفروض كنت أراجعك يا عمي؟

- طبعًا، ما أهو إحنا لازم نفهم إن الدنيا دي مش سهلة ومش للضعفاء اللي زيكو، وعمومًا أنا اديتكو درس عمركو، من النهارده مفيش غناء، مفيش حب، مفيش غير اللي أنا عاوزه وهيكون.

- وأنا عمري ما هاسمّعك صوتي تاني.

قالتها «يارا» حينها قبل أن تعود من ذِكراها إلى هيدلبرج حيث هي واقفة أمام «سامح الديب» المتسائل:

- طب وهو «مهند» جِه وراكي ألمانيا هنا ليه؟

- ولا حاجة، عرف إني مسافرة برا مصر وماكانش في طريقة أأمَن من كده نشوف بعض بيها.

أجابت «يارا» ليتوقف «سامح الديب» الذي كان قد بدأ التعاطف معها، ليتساءل عن سبب قسوة والدها «حازم».

- تقدر تروح تسأله.

أجابت «يارا» بثقة صدقها «سامح الديب» الذي تابع تحقيقه.

- طيب هو أخوكي «زياد» فين؟

- هو مع مراته في الشقة إللي جمبي.

بتردد قالتها ليستطيع «سامح الديب» بسهولة كشف كذبة ما وهو يرمق مساحة شقتها التي كانت تسمح بوجود أخيها وزوجته، ليقف مستكشفًا المكان مزيدًا من توترها وتوتر من أخفته، ثم توجه ناحية باب الغرفة لتُوقفه «يارا».

- أنا ما أسمحلكش تقتحم المكان كده.

قالتها فتوقف «سامح الديب» قبل أن يُفتح الباب تلقائيًا ويظهر من الداخل «مهند» قائلًا:

- خلاص يا «يارا» ما تخافيش.

- إنت بتعمل إيه هنا؟

- أنا جوزها.

رمق «سامح الديب» بطنَ «يارا» بسرعة بديهة لا يمتلكها سواه.

- إنت أبو اللي في بطنها؟

***

وضع «حلمي مهران» أجندة «سامح الديب» على مكتبه، ثم توجه بالسؤال إلى «حازم الشناوي» الجالس أمامه في توتر:

- هو إنت علاقتك عاملة إيه مع بنتك بالظبط؟

- زي الفل طبعًا، هي بنتي الوحيدة.

- مش «يارا» بنتك دي كانت بتغني؟

قالها «حلمي مهران» مُشيرًا إلى أغنيتها التي تذكّرها الجميع، ليعلق «هشام»:

- هي «يارا الشناوي» تبقى بنتك؟

سكت «حازم» قبل أن يُتابع «حلمي مهران» ممسكًا بالأجندة:

- أيوة هي، اللي أبوها الموقر، أتجلها ألبوم وسحبه من السوق أول ما نجح.

ارتبك «حازم» بينما اقترب «حلمي مهران» أكثر وهو يتابع:

- أنا مش جاي أحاسبك، أنا باحاول أفهم علشان أقدر أساعدك.

تلعثم «حازم» وهو يحاول تبرير موقفه قائلًا:

- كنت باحاول أحميها، إنت لو عندك بنت كنت هتقدَر تفهم. تحب إن بنتك تغني وترقص قدام الناس، وليه؟ علشان الفلوس، هي ناقصها حاجة! إحنا أغنى أغنياء البلد، وكل أراجوزاتها بييجوا لغاية عندنا يتراقصولنا بفلوسنا، مش العكس.

- هو ده مفهومك عن الغناء؟

تساءلت «ماجي» في تعاطُف أنثوي واضح.

- إنتو هتغنوا عليا أنا؟

اقتربت منه «ماجي» التي بدأت تتفاعل مع القضية.

- إنت عارف يعني إيه تدي الأمل لحد، وبعدين تسحبه منه؟

قالتها قاصدة في نفسها «حلمي مهران».

- كان ممكن تقف تتفرج من بعيد بدل ما توصّلها للسماء وبعدين تكسرها.

- ماكنتش متوقع إنها هتنجح كده!

- عذر أقبح من ذنب.

علّق «هشام» قبل أن يهرب «حازم» من نظراتهم متسائلًا:

- كل واحد حُر في ولاده، وبعدين هي يعني هتقتلني علشان باحميها من نفسها؟!

- لأ، بس ممكن تقتلك علشان تحمي أبو ابنها.

قالها «حلمي مهران» ليصدم الأب الذي شعر بالانكسار والرفض:

- إنت بتقول إيه؟!

- بنتك اتجوزت «مهند» عُرفي علشان كانت خايفة منك، ودلوقتي هي حامل، وطبعًا إنت ممكن تسجن «مهند» في دقيقة واحدة.

***

(٤)

من شقة «زياد» كان «سامح الديب» لا يزال يُتابع تحقيقه غير الرسمي مع الرجل المستاء من تدخُّله.

- أنا مش عارف إنت مدّي نفسك الحق إنك تتكلم معايا كده إزاي؟

- صدقني ده لمصلحتك، أصل أنا أكثركو علمًا.

بسُخريته المعهودة قالها «سامح الديب» وهو يقترب منه، ثم بدأ التحدث بصوت منخفض لا يخلو من وعيد خفي:

- أصل خطيبة حضرتك القديمة هنا في ألمانيا، وكانت عايزة تشوفك.

توتر «زياد» ووقف ليتأكد أن زوجته لا تسمع الحديث، ثم جلس إلى جانب «سامح الديب»:

- حرام عليك، إنت عايز تخرب بيتي!

- هو أنا اللي متجوز وماشي مع خطيبتي ولّا إنت؟!

- ما توطّي صوتك.

رمق «سامح الديب» البلكونة المطلة على النهر وهو يقول ساخرًا:

- طب ما تيجي نطلع برة علشان السجاير.

تفهّم «زياد» الحديث وتوجه معه إلى البلكونة وأحكم

إغلاق بابها، ثم أخرج سيجاره ليُدخنها قبل أن يستوقفه «سامح الديب» آخذًا السيجارة ليطفئها:

- معلش أنا مبطل سجاير.

بقوة قالها وهو يشير إلى «زياد»، ليجلس قبل أن يجبره على الحديث:

- أنا بقى عايز أعرف كل حاجة بالتفصيل الممل.

- مش فاهم!

- بلاش استعباط قلتلك، قولي بقى خطيبتك بتعمل إيه هنا؟

توتر «زياد» ونظر أرضًا ليقول:

- الموضوع ده قديم، بقاله أكتر من خمس سنين.

- وأنا عندي وقت أسمع.

***

كان «زياد» طالبًا في الجامعة الأمريكية حين قابل «نسرين» زميلته التي تعلّق بها منذ السنة الدراسية الأولى، فلقد كانت ذات طابع فكاهي مميز، خفيفة الظل والروح، سمراء البشرة وقصيرة القامة، تتمتع بشعر مموج مثير، وكان كلاهما من أغنياء الجامعة، وقد جمعهما الكثير من العوامل المشتركة.

- إنتي عارفة إن أنا كمان الأخ الوسطاني؟

قالها «زياد» في حديقة الجامعة، فابتسمت له موافقة.

- يعني مش طايل ولا سما ولا أرض زيي!

- بالظبط كده، ولا أنا الكبير وأهلي مكبرني، ولا أنا الصغير المتدلع.

تابع «زياد» حديثه والارتباك ظاهر عليه، فلقد كانت رجله تهتز بعصبية، فوضعت يدها على ركبته ليسكن فجأة.

- إهدا يا «زياد».

- أصل أنا عايز أقولّك حاجة بس خايف أخسرك.

ابتسمت «نسرين» في حنان كان يفتقده «زياد» منذ وفاة والدته.

- مش هتخسرني يا «زياد»، علشان أنا كمان بحبك.

بجرأة قالتها «نسرين»، فلقد كانت تتمتع بحرية أكثر من «زياد»، حيث كان والدها قد أعطاها كثيرًا من المساحات، لتبدأ قصة حب بينهما منذ تلك اللحظة استمرت لمدة ثلاث سنوات وحتى تخرَّج كلٌّ منهما، وكانت هي التي ساعدته في اجتياز مصاعبه التعليمية، حيث كانت حافزَه الأول للاستمرار، ليتسلم «زياد» أخيرًا منصبه في مصنع والده الذي استقبله استقبال الفاتحين؛ نظرًا لتكرار فشله التعليمي السابق.

- أنا مش مصدق إنك خلاص اتخرجت، أنا قلت بعد ما قعدت أربع سنين في السنتين الأولانيين، إنك مش

هتتخرج أبدًا!!

قالها الأب من داخل مكتبه الكلاسيكي بالمصنع، ليبتسم له «زياد» في فخر مُعللًا:

- ما هو أنا كان عندي حافز كبير.

وقف الأب وتحرك ناحية ابنه:

- أنا عارف إن الشركة هنا كانت حافز ليك، خصوصًا بعد ما أخوك الكبير استندل وسافر، علشان كده أنا مجهزلك منصب كبير أوي هنا، إنت هتبقى النائب بتاعي...

لم يسمع «زياد» فخر والده وقاطعه بسذاجة:

- بس ده ماكانش الحافز الحقيقي يا بابا.

اندهش الأب وتوقف ليعطي المجال لابنه الذي تابع في فخر:

- في بنت...

ابتسم الأب ابتسامة ذات طابع خاص وهو يتابع:

- أخيرًا يا بني هتفرّح قلب أبوك، احكيلي عنها.

تساءل الأب، ليبدأ الابن في قَصّ كافة قصته مع «نسرين» منذ معرفته بها عندما رسب في سنواته الأولى بالجامعة، ليبدأ الأب تعلُّقه بتلك الفتاة التي أثرت في قلب ابنه.

- «نسرين» تبقى بنت «الطوخي»!

لم ينتبه الأب إلى الاسم، والذي كان صاحب أحد أشهر سلاسل مطاعم المشويات في القاهرة والمحافظات، ليُدركها الأب فور شرح ابنه.

- يعني هنا كل ببلاش كمان..

ساخرًا علّق الأب مشاكسًا ابنه الذي تماهى مع والده في الضحك، قبل أن يُتابع الأب متسائلًا:

- الأهم من الكلام ده أخلاقها إيه، طمني؟

- لأ يا بابا، حقيقي زَيّنا وأحسن.

- ولد، إيه أحسن دي؟ مفيش حد ربّى أحسن من أمك «روح» الله يرحمها.

تنهّد «زياد» متذكرًا طفولته، فإنه لم يستمتع بها مثل أخيه الأكبر.

- طبعًا يا بابا، بس صدقني ماما لو كانت عايشة كانت هتحبها أوي.

ابتسم الأب وتوجه إلى ابنه ليضمه قائلًا:

- وأكيد كانت هتبقى فرحانة بيك أوي.

هربت دمعة من عين الأب فمسحها وهو يتابع:

- هنروح نتقدم إمتى، إحنا لازم نخش البيت من بابه.

ابتسم الابن الذي أحس أنه يمتلك الدنيا وما فيها، ليصبح هذا اليوم بمثابة ميلاد جديد له، فحين يجد الرجل ضالته في امرأة، يشعر بمدى ضآلته بدونها.

- طيب وما اتجوزتهاش ليه؟

تساءل «سامح الديب» من شقة «زياد» الذي أنهى حديثه شاردًا في تلك البلكونة المطلة على هذا المنظر الخلاب للنهر، قبل أن يلتفت ليتأكد أن زوجته لا تزال بعيدة عن الزجاج، بينما كرر «سامح الديب» سؤاله:

- إيه أبوك ما راحش معاك يتقدم لها؟

- بالعكس، ده جِه.

قالها «زياد» وهو يُتابع حديثه عن حب عُمره، متذكرًا ذلك اليوم الذي ذهب فيه مع أبيه إلى فيلَّا «الطوخي» الذي استقبلهما مرتديًا بذلة بيضاء تتماشى مع لون الحذاء الأبيض الذي كرهه «حازم» كما كره شعر الرجل الطويل نسبيًّا، ليشعر أن الرجل أقل من مستواهم الاجتماعي رغم غِناه الفاحش.

- أنا حقيقي سعيد بزيارتكو الكريمة دي لقصري المتواضع.

قالها «الطوخي» مشيرًا إلى المكان بفخر، بينما ظل «حازم» يرمق ديكوراته الكلاسيكية المبالغة التي تفتقر إلى الحرفية والبساطة، لتلاحظ «نسرين» سكوته فتسأله في

جرأة كانت تمتلكها:

- في حاجة مش عجباك يا أونكل في البيت؟

- مش مهم.

بوقاحة قالها «حازم» ليتوتر ابنه، فلقد كان أربعتهم في صالون قصر «الطوخي» الذي شعر بالإهانة.

- يعني إيه مش مهم، إنت عارف ده مكلّفني كام؟

- برضه مش مهم.

كررها «حازم» بأسلوب فج جارحًا «الطوخي» الذي علق قائلًا:

- واضح إن والدك ماكانش عايز ييجي معاك يا «زياد» يا بني.

- معلش يا عمي، بابا يحب يهزر كتير...

قالها «زياد» في محاولة للاعتذار.

- لأ ما بحبش أهزر خالص.

مقاطعًا إياهم علق «حازم» قبل أن يلتفت ناحية «الطوخي» بالحديث متابعًا:

- بس أنا فعلًا كنت عايز آجي.

ابتلع الابن ريقه، قبل أن يتابع الأب في حزم:

- أنا كان لازم آجي علشان أطلب منك يا معلم

«طوخي» إنك تبعِد بنتك عن ابني.

وقف «الطوخي» منفعلًا، وإن منعته الصدمة من إيجاد رد مناسب، فتابع «حازم» بقوة:

- أنا جاي بنفسي أقولك تلِم بنتك لو ليها عندك كرامة.

- اتفضل اطلع برة.

قالها «الطوخي» صارخًا قبل أن يقف «حازم» ويقول في نفْر:

- طالعين لأن إحنا مش هنّاسِب معلّمين بتوع كفتة.

قالها مزيدًا من جرح «نسرين» التي شعرت بالارتباك وهي ترمق «زياد» المذهول في عجز لا يستطيع حتى الوقوف، بينما كانت نظرة حبيبته له تكاد تقتله، ليظل شعوره بالقهر متزامنًا معه منذ ذلك اليوم وحتى هذه الساعة في مدينة هيدلبرج بألمانيا، حيث ظل «سامح الديب» يتابع تحقيقه غير الرسمي.

- طيب وهو «حازم» بيه عمل كده ليه؟

تساءل «سامح الديب» مندهشًا من حديث «زياد».

- والله تقدر تسأله.

لم يقتنع «سامح الديب»، فلقد كان رجلَ أمن من الدرجة الأولى.

- أكيد في سبب.

تنهّد «زياد» وبدأ يشرح السبب الذي أعلنه الأب حينها من تفاوت طبقيّ بين العائلتين، وذلك برغم تقاربهما المادي، إلا أن «ساحر الديب» كان يشعر أن هناك سرًّا خفيًّا خلف هذا الاعتراض.

- أكيد في سر تاني هو اللي خلّى والدك يغيّر رأيه، زي ما بيغيّر كتير من تصرفاته فجأة، ممكن يكون في حد لاوي دراعه!

- تقصد «دعاء» مراته؟

اندهش «ساحر الديب» من تحديد الابن لها.

- إشمعنى؟!

- يعني لو في حد ممكن يلوي دراع بابا، مش هيبقى في غير «دعاء»، هي اللي قدرت تسيطر عليه، بعد كل الستات اللي كان بيغيّرهم.

- عمومًا هنشوف، أنا ليا كلام مع كل اللي دخلوا القنصلية، بس دلوقتي خلينا فيك إنت، إيه اللي جاب «نسرين» دي اللي كانت هتبقى خطيبتك وراك ألمانيا؟!

***

من مكتب «حلمي مهران» الممسك بتلك الأجندة وهو يُمرّر عينيه وسط سطورها كل بضع لحظات، ليعبر الآن عبر تحقيق «ساحر الديب» مع «زياد»، فيتابع هو حديثه إلى «حازم» حول ابنه الأوسط.

- إنت ليه رفضت جواز ابنك «زياد» من «نسرين»؟

سكت «حازم» متوترًا، بينما كرّر «حلمي مهران» حديثه في قوة:

- أنا باكلمك.

لم يُجِب «حازم» للحظات ثم ابتسم وقال ساخرًا:

- علشان جزمة أبوها.

- ما تتكلم عِدِل يا راجل إنت!

علّق «هشام» المرهق في ضيق من سخرية الرجل الذي تابع وهو يضحك بصوت مرتفع:

- والله العظيم من جزمة أبوها.

قالها دون أن يستطيع تمالُك ضحكاته، ليندهش الجميع وتشعر «ماجي» بجنون الرجل.

- هو بجد إيه اللي يضحك؟

- آسف والله، أصلكو لو شوفتوا الراجل وهو لابس البدلة البيضاء الجديدة، مع الجزمة اللي بتلمع هتضحكوا.

ساخرًا قالها وهو يحاول التقاط أنفاسه من سخريته، قبل أن يتابع بصعوبة:

- والبدلة إيه يا جماعة بمكواة المصنع، وفي الآخر هزأته هوّ وبنته.

تابع «حازم» سخريته المبالغ فيها، حتى زاد من ضيق «ماجي».

- إنت كسرت بقلب بنت، وعايرتها بأبوها وبتضحك!

- لأ أنا باضحك على الجزمة البيضاء.

قالها متابعًا الضحك، قبل أن يقف «حلمي مهران» صارخًا بقوة أرهبَت الرجل وهو يقول:

- أنا مش جاي أهرج.

سكت الجميع عن الحديث، بل كادوا يتوقفون عن التنفس حتى تابع «حلمي مهران» الغاضب حديثه:

- واضح إن المرحومة «روح» مالحقتش تربي ابنك.

قالها «حلمي مهران» ذاكرًا «روح» للمرة الأولى، في تلك اللحظة التي بدأت الرياح تطرق النوافذ في غضب، فابتلع الجميع ريقهم.

- هوّ في إيه؟

تساءلت «ماجي» في خوف، فطمأنها «هشام» المتوجه للنافذة:

- ولا حاجة، سقعة الشتاء.

- لأ دي «روح» غضبانة.

علّق «حازم» مزيدًا من رهبة المشهد قبل أن يُتابع «حلمي مهران» غضبه:

- ما تغيّرش الموضوع، واضح إنك ما تعرفش اللي ابنك الوسطاني كان عامله مع «نسرين»!

توقف «حازم» عن الابتسام، فظهرت عليه علامات المعرفة لأثر فِعله، ثم توقف ليسأل عن طريق الحمّام تاركًا الجميع لدقائق من دونه ليستغلهم «هشام» موجهًا حديثه إلى «حلمي مهران»:

- وهو إنت عرفت كل ده من أجندة «سامح الديب»؟

ابتسم «حلمي مهران» وهو يمسك بأجندة الرجل متابعًا:

- «سامح الديب» ده كان عارف هو بيعمل أية كويس.

- اشمعنى!

علّق «هشام» غاضبًا، فلم يكن «حلمي مهران» قد عرف الرجل قبل وفاته من الأساس.

- على فكرة واضح أن أنا و«سامح الديب» زي بعض في حاجات كتير، إحنا الاتنين بندوّر على نفس الحاجة.

- اللي هي إيه إن شاء الله؟

تساءل «هشام» مُتهكمًا.

- إحنا الاتنين بندوّر على الحقايق يا «هشام»، أنا عارف إنك بتساعدني، لكن هدفك مختلف، إنت هنا مش علشان الحق، ولا علشان «حلمي» صاحبك، لأ، إنت هنا علشان بتحب «ماجي».

ارتبك «هشام» وكذلك «ماجي»، بينما اقترب «حلمي مهران» أكثر.

- ما تِكْدِبش الكدبة وتصدّقها يا «هشام».

قالها في لحظة عودة «حازم» من الحمّام، فانسحب «هشام» تاركًا المكان في غضب وسط دهشة الجميع، لترمق «ماجي» «حلمي مهران» بنظرات العتاب قبل أن تتبع «هشام» إلى الخارج، حيث كان هو في ثورة عارمة.

- «هشام» إستنى.

حاولت «ماجي» إيقافه من خارج شقة «حلمي مهران».

- عايزة إيه يا «ماجي»؟

- عايزاك تبقى كويس، مش كل حاجة «حلمي» بيقولها بتبقى صح.

توقف «هشام» والتفت إليها في ضيق.

- لأ يا «ماجي»، كل حاجة بيقولها «حلمي» دايمًا بتبقى صح، وللأسف هو في دي كمان صح، أنا فعلًا هنا علشانك يا «ماجي»، أنا لولا كي ماكنتش اهتميت ودخلت عالم «حلمي مهران»، أنا تعبت من غروره في كل حاجة، هو مش شايف غير نفسه.

- لأ هو شايف الحقيقة.

مدافعة في دفاع قالتها، ليبتسم «هشام» مُقتربًا من

«ماجي».

- وإنتي مش شايفاها يا «ماجي»؟ إحنا كل يوم عمرنا بيتسرق في قضية ورا التانية، ولا عمرهم يخلصوا ولا عمر الدنيا ما حالها بيتصلح، من أول ما «قابيل» قتل أخوه، والإنسان بيستمتع بالدم، بس إحنا دورنا إيه؟ هنصلّح العالم يعني!

في غضب وثورة قالها لتحاول هي تهدئته قائلة:

- نحاول على الأقل.

- وعُمرنا اللي بيتسرق مننا مين هيعوضه، إحنا بنكبر وأنا كل يوم باجري وراكي وإنتي مش شايفاني، علشان بتجري ورا «حلمي»، بس إنتي مش شايفة إنك بتجري ورا وَهْم.

توقفت «ماجي» للحظة لتهضم كلماته الحقيقية، قبل أن يرن هاتفه، فيرفض المكالمة وهو يتابع:

- فكري في كلامي كويس يا «ماجي» قبل ما يفوت الأوان.

قالها قبل أن يستقبل رسالة فيخطف نظرة إلى هاتفه ويجدها من الصحفية «سالي» التي تستنجد به برسالة صوتية دفعه الفضول إلى سماعها.

«عقيد هشام أنا آسفة، بس مش عارفين نوصل لحلمي مهران، وفي تهديد جِه لحنان وإحنا محتاجين حد منكو ضروري».

سمعتْ «ماجي» الرسالة مع «هشام» الذي همَّ ليغادر قبل أن تعود هي لتسترقه:

- رايح فين؟

- رايح أشوف في إيه.

- ويقول إنك مش بدوّر على الحقيقة!

بحنانٍ قالتها، قبل أن تقترب منه أكثر قائلة:

- أنا جاية معاك.

اندهش «هشام» مُتسائلًا:

- و«حلمي»؟!

- مش هيحتاجني زيّك.

***

- عزيزي القارئ، إن كنت تقرأ هذا الكتاب من موقع إلكتروني أو برنامج أو على شكل كتاب مطبوع، فتأكد من أنك تقرأ كتاب مسروق وليس لمن أخذه الحق في ذلك.
- هذه النسخة مجانية بشكل كامل على قناة خاصة في تطبيق تيليجرام، فتأكد من أنك مشترك بالقناة وتحمل الكتاب منها.
أعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.

(٥)

من الجريدة كانت «حنان» في حالة تُرثى لها، بينما تحاول هي تمالُك نفسها لتقُص ما يحدث، بينما «هشام» يحاول أن يُحسِن الإنصات.

- ما تفهّمينا إنتي يا «سالي» إيه اللي حصل؟

تساءلت «ماجي» مُنزعجة بسبب اقتراب «هشام» من «حنان» في غيرة نسائية غير مفهومة لاحظتها بنفسها.

- هو إحنا فاهمين حاجة، دي حاجة حسبي الله ونعم الوكيل خالص!

قالتها «سالي» بطريقتها المعهودة لتتدخل «ماجي».

- يا بنتي كفاية حسبنة شوية، هتموتي محروقة.

- محروقة! عمومًا أنا مش هاحسِبن عليكي، أنا هاحكيلك تاني، بعد ما القاتل ده بعت رده على «حلمي مهران»، بعت رسالة باسم «حنان» نفسها.

- طيب وفيها إيه، ما هي أكيد كاتبة اسمها على المقال!

تساءل «هشام» وهو يربت على كتف «حنان».

- لأ ما هو إحنا ماكُناش كاتبين اسمها.

علّقت «سالي» فاندهش الجميع.

- طب هو عرف إزاي يعني؟!

تساءلت «ماجي»، لتسخر «سالي»:

- لأ ما هو ده غباء أوفر الصراحة، أمال إحنا كلّمناكو ليه، لأ لو تسمحيلي بقى حسبي الله ونعم الوكيل، إنتي بنت حلال وتستاهليها!

- أنا مش هاسمح إن حاجة تحصلّك يا «حنان»، ما تقلقيش.

قالها «هشام» وهو يُعيد وضع يده على كتفها، فتنزعج «ماجي».

- خلاص يا «هشام»، ماحصلش حاجة يعني.

قالتها وهي ترفع يده عنها قبل أن يقاطعها للتو «تيم» القادم مُتلهفًا:

- في إيه يا جماعة، ماحصلش حاجة لده كله، أنا هاروّح «حنان» علشان ترتاح، وحضرتك يا حضرة الظابط تقدر تشوف شغلك وتطمنا، ولّا مستني ترجع لـ«حلمي مهران»؟

انزعج «هشام» من حديث «تيم» المحتدّ:

- بلاش تحضّر العفريت يا «تيم»، وخلّي كل واحد يشوف شغله.

- قول لنفسك، إحنا من ساعة ما ظهر «حلمي مهران» وحياتنا كلها بتبوظ.

سكت «هشام» الذي شعر بموافقته على الحديث، خصوصًا في حضور «ماجي».

- عندك حق يا «تيم»، عمومًا أنا مش جاي هنا علشان «حلمي»، هو مشغول في العالم بتاعه، أنا جيت علشان «سالي» كلمتني، وأنا هشوف شغلي، وزي ما قولتلك إنت كمان تقدر تشوف شغلك، وإن غدًا لناظره قريب.

***

تابع «حلمي مهران» حديثه إلى «حازم»، مستمتعًا بأجندة صديقه الجديد الحاضر الغائب «سامح الديب»، حيث صارت تلك القضية المستقبلية ذات طابع خاص ومختلف في حياته المهنية، بل والإنسانية.

- إنت عداواتك بقَت كتير، وكلهم من أهلك.

- مش كلهم، ممكن يكون «الطوخي» أو بنته، دول مش بقية أهلي يعني.

علق «حازم» بنفس الأسلوب المتهكم ليقترب «حلمي مهران» قائلًا:

- «حازم»، إحنا لوحدنا دلوقتي، إنت ليه بتعمل مع ولادك كده؟

اقترب «حازم» من «حلمي مهران» وتحدث بصوت منخفض وهو يبتسم:

- بس إحنا مش لوحدنا!

***

وصل «تيم» بالسيارة إلى منزل «حنان» ليصفّها ويسبقها مترجلًا إلى بيتها ليؤمنها بطريقة مبالغًا فيها حتى انفعلت:

- كفاية لغاية هنا يا «تيم»، إيه هتخش معايا البيت؟!

بتوتر قالتها، ليبتلع هو ريقه:

- إنتي مش لسة جايلك تهديد يا «حنان»، وبعدين هو أنا لازم أبقى «حلمي مهران» علشان أخش معاكي!

- إيه اللي بتقوله ده، إنت مجنون!

- لأ مش مجنون، إنتي اللي مجنونة، بتجري ورا سراب، وآدي النتيجة، كل شوية في خطر لوحدك، وفي كل مرة أنا اللي بابقى جنبك وعمرك مابتشوفي ده.

قالها منفعلًا قبل أن يرمق تلك الورقة الواقعة أسفل باب منزلها، ليبتلع ريقه من أمامها، فتلاحظ هي توتره وتلتفت لترمق الورقة وتقترب جاثية على ركبتها لتمسك بها، فتجدها مكتوبة على الحاسوب بنفس صيغة تهديد القاتل لـ«حازم»، وإن كان المكتوب مختلفًا:

«من يتبع حلمي مهران سيصل إلى حتفه أسرع من المتوقع، فلتحذري!».

***

حاول «حلمي مهران» الاستفهام عن مقصد «حازم»

الذي أبلغه أن هناك مَن يراقبهما في مكتبه، وإن لم يكن مجرد شخص ثالث، بل كانوا بالفعل ثلاثة وكان هو رابعهم!

- أنا مش فاهمك!

قالها «حلمي مهران» يائسًا، ليُتابع «حازم» بطريقته الجنائزية الغريبة:

- لأ فاهم وبتنكر، وهي دي بالظبط مشكلتك، علشان كده هتخسر القضية.

- أنا مابخسرش يا «حازم».

بقوة علّق «حلمي مهران»، فابتسم «حازم» الذي وصل إلى ضالته:

- هو ده «حلمي مهران» اللي أنا عايزه، معلش كنت لازم أستفزك علشان تقدر تحل اللغز، معلش بقى ما دي رقبتي اللي عليها الرهان.

ابتسم «حلمي مهران» متقبلًا التحدي، ليتماهى في حديثه متجاهلًا هاتفه الذي لا يزال يرن حيث كانت المتصلة الآن «حنان» تُحاول الاستغاثة به.

- مش هيرد عليكي، أكيد عنده الأهم منك.

قالها «تيم» الآن من منزل «حنان» بعدما اضطرت لاستقباله حتى وصول البقية.

- مش وقته بقى يا «تيم» كفاية ضغط، إنت عايز جنازة

وتشبع فيها لَطم!

قالتها فور ظهور «هشام» و«ماجي» اللذين وصلا للتو ليستاء «تيم» ويتساءل متهكمًا: - إنتو لحقتوا!

- الله يسلمك.

علّقت «ماجي» ساخرة من عدم تحيته، بينما بدأ «هشام» فهم ما حدث قبل أن يتدخل قائلًا:

- أنا مش عايز حد يعرف حاجة عن الجواب ده، ولا «حلمي مهران» نفسه.

- ليه يعني؟

علّقت «حنان» معترضة.

- علشان مصلحتك وحياتك يا «حنان»، الموضوع مابقاش فيه هزار، وإنتي يا «ماجي» هتقدري تسكتي؟

تساءل «هشام» عن رد فعل «ماجي»، فلقد كانت هي مديرة مكتب «حلمي مهران» نفسه لتشعر بشيء من التردد، فباغتها هو قائلًا:

- أنا كل اللي عايزه إني أشتغل موازي لـ«حلمي»، ممكن هو القضية تشتته، أو على الأقل حد يتنذي.

توقفت «ماجي» عن الرد في خيانة لرَبّ عملها بعدما نجح الجميع في زرع سمومهم، بينما رمق «هشام» تلك الورقة المكتوبة وهو يتابع:

- أتمنى من كل قلبي إن القضية دي ما تبدأش من الأول.

***

- القضية مش هتنتهي بموتي يا «حلمي»، دي هتبدأ من بعدي.

قالها «حازم» ردًّا على أسئلة «حلمي مهران» المزعجة، حتى وصل الأخير إلى تساؤلاته حول ابنه الأكبر:

- هو ليه ابنك الكبير طِفش من مصر؟

- تقدر تسأله.

أجابها «حازم» بنفس إجابته عن بقية أبنائه.

- ما أنا سألته فعلًا وعرفت الإجابة.

قالها «حلمي مهران» مُبتسمًا وهو يمسك بأجندة «سامح الديب» الذي غاص في سطورها متماهيًا حتى كاد يلتصق مع أحداثها ليجد نفسه الآن هناك داخل منزل «ماجد» في فرانكفورت بألمانيا، حيث كان الأخير يجلس في صالون شقته الصغيرة، بينما كان «سامح الديب» يحقق معه منذ بضعة أشهر. تعجّب «حلمي مهران» من وجوده داخل سطور أجندة صديقه وهو يرمق هذا المشهد المسجّل منذ شهور، لا يفهم كيف ظهر بداخله، ولكنه كان يعرف صحة رؤياه، ويعلم أن وجوده شرفيّ مجرد وهم لا يستطيع إبطال مشهد رؤياه، فيحاول «حلمي مهران»

التأكد ليوجه حديثه الآن داخل تلك الرؤيا إلى «ماجد» الابن الأكبر لـ«حازم»، إلا أن الأخير لم يرَه بالطبع، فيبتسم «حلمي مهران» حامدًا ربه على تلك النعمة الساكنة داخل عقله المريض، ليستريح مستلقيًا ليتابع هذا المشهد في خياله بين «ماجد» و«سامح الديب»، إلا أن الأخير انتبه لوجوده واقترب من «حلمي مهران» مُعطيًا ظهره إلى «ماجد» ثم وضع سبابته على شفتيه في إشارة إلى «حلمي مهران» ليسكت ويُحسن الإنصات قبل أن يلتفت إلى «ماجد».

- تسمحلي أسألك يا «ماجد» إيه اللي خلاك تسيب مصر وتيجي ألمانيا بالذات؟

من منزله جلس «ماجد» في غرور يمنعه من الإجابة.

- وهو أنا المطلوب أجاوبك ليه؟ ما أنا عملت اللي إنت عايزه وقابلت أبويا وجيتلك بنفسي القنصلية.

- بس ماجيتش لوحدك يا «ماجد»، إنت جيت مع خالك «يوسف».

قالها «سامح الديب» في إشارة لمعرفته بقدوم خاله «يوسف» في القنصلية في حينها بالفعل.

- وهو في مانع إني آجي مع خالي؟!

- لأ طبعًا مفيش مانع.

قالها «سامح الديب» وهو يجلس إلى جانب «حلمي

مهران» الذي يُشاهد المشهد مستمتعًا.

- بس لما يكون «يوسف» على خلاف مع أبوك ومهدّدين بعض بالقتل، يبقى لازم أفهم!

ابتلع «ماجد» ريقه مندهشًا من تتبع «سامح الديب» لكل تلك المعلومات متسائلًا عن السبب.

- هو إنت ليه مهتم بكل التفاصيل دي، إنت مالك بِينا؟

ابتسم «سامح الديب» وهو يلتفت إلى «حلمي مهران» قائلًا:

- يمكن علشان في يوم هيجي غيري يسأل، وأنا دوري أعمل اللي عليا، علشان أسهّلها على اللي بعدي.

ابتسم «حلمي مهران» لصديقه المخلص الذي تابع:

- أنا ربنا سخّرني لمساعدة الناس في وجودي وفي غيابي، وصدقني يا «ماجد» أنا سؤالي أرحم من غيري، طالما معندكش اللي تخبيه.

قالها بقوة ليستسلم «ماجد» الذي كانت الحقيقة تُثقل ظهره.

***

كانت «روح» هي الحب الأول لـ«حازم»، وقد كانت تعني له الدنيا وما فيها، إلا أنه كان يمقت أخاها «يوسف» حيث كان مُدمنًا للمخدرات، كاد يضيع شبابه في جحيمها،

بينما كان هو أخاها الأصغر والمسؤول منها، ليظل هذا هو خلافهما الوحيد.

- يا «حازم» لو سمحت افهم موقفي.

قالتها «روح» بيضاء البشرة كستنائية الشعر والتي كانت دومًا ترتدي أبيض الملابس كالملائكة، قصيرة إلى حد ما ذات ملامح طفولية بريئة.

- أنا باحاول أفهم موقفك فعلًا، لكن إنتي إللي بتتكلمي من غير منطق.

أجابها «حازم» من غرفة نومهما الكلاسيكية، لتنفعل هي رغم براءتها:

- مين اللي قالك كده، مش معنى أنه بيستلف مني فلوس، إنه لازم يصرفها على السم ده.

- خلاص خليه يقولي هو محتاج الفلوس في إيه وزي ما يكون أنا هادفعها، لكن ما تدّيهوش كاش أرجوكي.

بعقلانية شديدة قالها «حازم» إلا أنها اعترضت قائلة:

- إنت عايز تبقى وصي عليه!

- ما هو لازم يبقى عليه وصاية، مش واحد مدمن، وبعدين معلش، أنا خايف على ولادي، أنا مش حِمل إنه يفكر يخطف واحد منهم لما يتزنق.

قالها غير منتبه إلى «ماجد» الذي كان صغيرًا حينها

يراقبهما من خارج الغرفة، بينما بدأت «روح» تقتنع بحديثه، ليُتابع هو بذكاء:

- ولو على الإحراج، أنا مش هاكون موجود، قابليه إنتي، وافهمي منه هو محتاج إيه وقوليلي، وأنا هأدفع أي فلوس عليه.

قالها بهدوء قبل أن يقترب منها:

- «روح»، أنا باعشق التراب اللي إنتي بتمشي عليه، وأكيد مش هاسمح بأي حاجة وحشة تحصل لأخوكي، ده خال العيال، بس أرجوكي اقنعيه بالعلاج وأنا هادفع كل تكاليفه.

هدأت «روح» نسبيًّا، فلقد كانت تعرف كم حاول زوجها مساعدة أخيها، حتى إنه كان قد استخرج له تأشيرة لبلده المفضلة للعلاج في ألمانيا ليتلقى العلاج هناك، إلا أن «يوسف» رفض السفر والإقلاع عن المخدرات.

- أنا عارفة إنت بتحبني إزاي، وعارفة إنت عملت إيه علشانه، بس إنت لازم تحس بيا، ده أخويا الوحيد وآخر حاجة فاضلالي من ريحة أمي وأبويا.

- يا حبيبتي تعيشي وتفتكري، وصدقيني إحنا بنعمل كده علشان مصلحته.

قالها «حازم» مُقبلًا رأس زوجته قبل أن يغادر إلى عمله خارجًا من الغرفة حيث وجد ابنه «ماجد» في الردهة

ليتجه إليه:

- مالك يا حبيبي، واقف كده ليه؟

بتوتر بدأ «ماجد» الحديث متسائلًا عن خاله:

- هو خالو «يوسف» ماله؟

- ولا حاجة يا حبيبي، ماتخافش عليه طول ما أنا موجود.

بحنانٍ احتضن الأب ابنه، قبل أن يهمّ ويغادر، ليتركه إلى خياله في هذا اليوم الذي وصل فيه خاله «يوسف» بالفعل ليُقابل أخته كما كان الاتفاق بينهما، حيث وصل ليلًا واستقبله «ماجد» حينها ليُدخله إلى مكتب والده حيث كانت «روح» في انتظاره، ثم تركهما وغادر، يبدأ حديث بارد بينهما قبل أن يشتعل شيئًا فشيئًا حتى فقد «يوسف» السيطرة على نفسه:

- يعني إيه! هتعملي نفسك كبيرة عليا ولّا إيه؟

قالها بعنف رغم نحافة جسده الذي تأثر بإدمانه، حيث كانت عظامه ظاهرة وقد تلاشت وسامته، فلقد كان في الأصل ذا ملامح لطيفة ومريحة، حليق اللحية طويل الشعر وإن كان خفيفًا، ليظهر أكبر سنًّا رغم شبابه.

- أنا ماقولتش حاجة، بس دي مش فلوسي، دي فلوس جوزي يا «يوسف»، ما إنت ضيّعت وِرثنا كله على الهباب ده.

- فلوسي وأنا حُر، ما أخدتش منك حاجة.

- بس جاي دلوقتي تاخد، يبقى حقي أعرف هتوديهم فين، أنا مش هاسمحلك تضيّع نفسك أكتر من كده.

- وأنا مش هاسمحلك تتكلمي مع أخوكي الراجل كده، أنا جاي آخد حقي.

اندهشت «روح» من بجاحة أخيها الذي اقترب منها مُشيرًا إلى يدها.

- صيغة أمي دي ماكنتش حقك.

- هو إنت عايز تبيع صيغة أمك كمان؟!

- شرع ربنا، وليا فيها أكتر منك، لكن لو عايزاها ادفعي فلوسها.

- إنت اتجننت.

صارخة قالتها قبل أن يُمسك يدها ليأخذ صيغتها عنوة، فترفض هي وتقاومه في عراك كانت بالفعل هي الخاسرة فيه، فيخلع من يدها ذهبها، قبل أن تقع أرضًا وتصطدم بتلك المنضدة وتنزف الدماء فيهرب «يوسف» من المكان مذعورًا دون أن يلاحظ «ماجد» الذي كان هناك يراقب الأحداث في هلع.

***

(٦)

من برزخ بعيد توقّف «حلمي مهران» يبحث عن هويته، وسط تلك الجزيرة البعيدة التي عايش فيها القضية الخامسة وسط المياه من كل جانب، ولكنه وجد نفسه الآن هناك إلى جانب صديقه الجديد «سامح الديب» الجالس عند الشاطئ مستمتعًا بغروب الشمس، ليقترب منه «حلمي مهران» في فضول قبل أن يباغته «سامح الديب» هو يرمق المياه قائلًا:

- يا أخي كل حاجة ربنا خالقها حلوة.

- هو إحنا ما اتقابلناش قبل كده خالص يا «سامح»؟

تساءل «حلمي مهران» فابتسم «سامح الديب» مُجيبًا:

- كلنا اتقابلنا بشكل أو بآخر يا صاحبي، أرجوك ريّح ضهرك واستمتع بالمنظر ده، هتلاقي القمر موجود رغم إن الشمس لسه ما مشيتش.

كان المشهد هذليًّا داخل خيال «حلمي مهران» من تلك الجزيرة التي صارت تعكس كل ما هو خارج المنطق في عقله، ليعرف دومًا أن كل ما صار يراه على تلك الجزيرة هي أضغاث أحلام وإن كان الكثير منها مزروعًا بعُمق داخل عقله.

- في وقت بين النهار والليل كلنا بنتقابل فيه يا «حلمي»، وده الوقت اللي اجتمعنا فيه.

لم يستوعب «حلمي مهران» الحديث، ليشعر للمرة الأولى بقلة حيلته أمام شخص ما.

- إنت لما كنت في الغيبوبة زمان جيت هنا وشوفتني، وفي حاجات كتير اخدتها مني، زي ما أنا خدت منك أكتر.

تهكّم «حلمي مهران» من حديث «سامح الديب» الذي لم يستوعبه بعد، وإن كان يعلم أن تلك الجزيرة في عقله هي ملاذ له كلها هرب من الواقع، ليؤكد له «سامح الديب» ظنه معللًا:

- إنت بس ناسي، لما تفتكر هتعرف كل حاجة، بس إنت جيت هنا، زيك زيي، زي ناس كتير، قبل ما تاخد فرصة تانية وترجع من الغيبوبة.

بدأ «حلمي مهران» تفهم قصد «سامح الديب» بينما تلك المشاهد تَعبُر في خيال «حلمي مهران» الذي شعر بعمق معرفته بهذا الصديق الذي عاش معه على هذا البرزخ في زمان آخر.

- الجزيرة دي كلها في خيالك يا «حلمي»، بس يا ترى هتعرف تميز فيها الحقيقة من الخيال.

قالها ثم هَمّ بالوقوف قبل أن يمد يده إلى «حلمي مهران» ليقف هو الآخر مستمتعًا بمساندة صديقه له.

- على فين؟

تساءل «حلمي مهران» ليجيبه صديقه الوهمي:

- هنكمل تحقيق، إنت عندك قضية، إنت ناسي ولَّا إيه؟

تذكّر «حلمي مهران» مسؤوليته قبل أن يَلمح من بعيد «روح» واقفة عند الشاطئ.

- دي «روح» مرات «حازم»!

أومأ «سامح الديب» برأسه قائلًا:

- أيوة هي هنا لسة ما مشيتش.

- طيب ما نسألها.

ابتسم «سامح الديب» معلقًا:

- مش باقولك إحنا شبه بعض، أنا سألتها، بس ممكن تسمع معايا تاني.

قالها وهو يقترب من «روح» التي كانت هناك لا تزال تنظر إلى المياه، فيكرر «سامح الديب» سؤاله عن موتها لتُجيبه هي بما أدهش «حلمي مهران» الذي ظل يستمع الحديث قبل أن يجد نفسه فجأة قد عاد إلى منزل «ماجد» بألمانيا.

- فوق يا «حلمي» لسة ورانا شغل كتير.

قالها «سامح الديب» لـ«حلمي مهران» الذي استفاق للتو من رؤيا كانت داخل رؤيا أخرى، فينهض ويتحدث إلى صديقه:

- هو إنت شايفني هنا؟

- مش لازم تفهم كل حاجة في نفس الوقت يا «حلمي»، بس عمومًا أنا النهارده معاك لغاية ما «حازم» يجيلي، ساعتها ممكن تفهم منه بقية الحكاية.

قالها في لحظة عودة «ماجد» من الداخل، حيث كان قد جلب خاله «يوسف» الذي اندهش من تحدُّث «سامح الديب» إلى نفسه قائلًا:

- حضرتك بتكلم مين؟

تساءل «يوسف» ليبتسم «سامح الديب» إلى «حلمي مهران» الذي لم يرَه سواه، ثم التفت إلى «يوسف» الذي لم تظهر عليه علامات السن، فلم يكن الرجل قد تزوج بعد، وقد حافظ على شبابه.

- والله كلنا بنكلم حبايبنا زي إنت ما لسة بتكلم «روح» لغاية دلوقتي.

توتر «يوسف» عند سماعه جملة «سامح الديب» الذي كان يعرف الكثير، فلقد كان مُلتزمًا بالبحث والتنقيب مثل «حلمي مهران»، حيث كان كلٌّ منهما وجهًا لنفس العملة.

- ما ترد يا «يوسف» بيه، مش إنت لسة بتشوف «روح» لغاية دلوقتي؟

التفت «يوسف» بنظره ناحية «حلمي مهران» الذي توتر

قبل أن يجد من خلفه «روح» هناك واقفة تومئ برأسها لأخيها بالإيجاب.

- أيوة لسة باشوفها، مفيش يوم واحد من ساعة موتها ماشوفتهاش فيه.

- واضح إنك حاولت تتعالج كتير.

تساءل «سامح الديب» ليجيب «يوسف»:

- في الأول، علشان كنت فاكر نفسي عيان، بس بعد كده اتأكدت إنها موجودة، بس مش أي حد ممكن يحس بيها.

- إنت مؤمن بالروحانيات بقى!

مُتهكمًا قالها «سامح الديب»، ليتدخل «ماجد» مُدافعًا عن خاله:

- لو سمحت ما تتكلمش في اللي ما تفهمش فيه.

وقف «سامح الديب» بقوة أخافتهما، فتدخل «يوسف» موضحًا:

- «ماجد» قصده إن كل واحد عنده عقيدته اللي مؤمن بيها.

- ومين قال إني مش مصدقك!

اندهش «يوسف» الذي شعر باختلاف «سامح الديب» عن البقية، فلقد كانت لـ«يوسف» تجربة قاسية في

التحقيقات بعد موت «روح» والتي كانت مع صديق «حلمي مهران» المقرب «هشام»!

***

منذ سنوات طويلة كان «هشام» من ضمن تلك القوة التي أحكمت القبض على «يوسف» في أحد الأحياء الشعبية وهو يتعاطى بعض المخدرات، قبل أن يتأكد من أنه صار مطلوبًا بسبب مقتل أخته.

- إنت مش مدمن بس، إنت كمان قتّال قُتلة؟

سأله «هشام» الذي كان مجرد مُلازم حينها، بينما كان «يوسف» واقفًا أمام سيارة الترحيلات.

- لا يا فندم، دي كانت مجرد خناقة، وبعدين ما هي كويسة أهي وتقدر تسألها.

قالها «يوسف» مُشيرًا إلى «روح» التي كان يراها إلى جوار «هشام» الذي التفت دون أن يراها بالطبع فأكمل سخريته:

- لأ معلش ده الصنف اللي إنت شاربه، صدقني عندنا في الحجز بقى ربنا هيتمّملك الشفاء، أنا مش عايزك تقلق خالص.

قالها «هشام» مشيرًا إلى عساكره ليضعوا «يوسف» في السيارة التي توجه «هشام» لركوبها إلى جوار السائق وصولًا إلى القسم، حيث دخل «هشام» إلى غرفته وطلب

أخذ أقوال «يوسف» بفضول بعدما تأكد من هويته وهوية أخته وشهرة زوجها «حازم»، ليحاول «هشام» بحِسّه الأمني وشغف البدايات، البحث عن الحقيقة.

***

في الوقت الحاضر وصل «هشام» إلى مكتبه ومعه «ماجي» تحاول بفضول فهم مخاوفه، حيث كانت متأكدة أنه يُخفي شيئًا ما.

- «هشام» أنا مش هاروح غير لما أفهم اللي إنت مخبيه.

جلس «هشام» على كرسيه مبتسمًا من فضول حبيبته ليستغل الموقف:

- طيب ولو حكيتلك هتوافقي؟

- على إيه؟

تساءلت «ماجي» ليفاجئها قائلًا:

- على جوازنا.

- تاني يا «هشام»، إنت ما بتزهقش؟

مبتسمة قالتها ليزداد تعلّق «هشام».

- لأ.. طالما ضحكتْ، يبقى قلبها مَال!

- ممكن تخلينا في القضية؟

- ماشي، بس تضحكي تاني!

ضحكت «ماجي» بالفعل، ليقترب منها «هشام» في سعادة:

- حِيث كده بقى، أنا هاقدم السبت وأحكيلك كل حاجة، بُصّي يا ستو أنا، اللي هيقتل «حازم» هيبقى «يوسف» أخو المرحومة مراته.

***

تابع «حلمي مهران» المشهد في ترقُّب، بينما «يوسف» لا يزال يدافع عن نفسه أمام «سامح الديب» في فرانكفورت:

- أنا المحكمة برّأتني.

- ما أنا عارف.

قالها «سامح الديب» مُعقبًا قبل أن يتابع:

- بس بعد ما قعدت سنتين في الحبس.

- علشان محدش كان مصدقني.

أجاب «يوسف» ليهدأ «سامح الديب» ويقول:

- بس أنا هصدقكو دلوقتي لو جيتو في الدوغري، قوللي بقى إنتو مخبيين عليا إيه إنتو الاتنين؟

مشيرًا إلى «ماجد» وخاله «يوسف»، علّق «سامح الديب» وإن كان يعرف الكثير بالفعل.

- ولا حاجة، إحنا معندناش أكتر من اللي عرفته الحكومة.

***

ظلّت «ماجي» تتابع كلام «هشام» مُندهشة مما يعرفه ويُسِرّه في نفسه دون الإفصاح به أمام «حلمي مهران»، حين قصّ عليها معرفته لـ«يوسف» منذ سنوات طويلة أثناء قضية مقتل «روح»، فتشك «ماجي» أنه أراد أن يسبقه، إلا أنه أوضح أن لعمله قيودًا يتوجّب عليه احترامها.

- طيب فهّمني أكتر معلش.

- يا «ماجي» زي ما شرحتلك، الطب الشرعي أكد إن خبطة «يوسف» لـ«روح» مش هي اللي اتسببت في الوفاة.

كررها «هشام» قبل أن تُكرر «ماجي» تعجبها متسائلة:

- أمال هما كانوا حابسينه كل ده ليه يعني يا «هشام»؟

- واحد متصور وهو داخل بيت أخته القتيلة، وضاربها قدام كل الناس وسارق صيغتها ونازل بايعها، وبعد كل ده كمان ممسوك بيضرب مخدرات، ده أنا لو من القاضي ماكنتش استنيت كل الوقت ده، حقيقي ده خرج من حظه الحلو.

أجاب «هشام» موضحًا سبب تلك المدة الطويلة التي قضاها «يوسف» في محبسه قبل ظهور برأته، لتتساءل «ماجي»:

- طيب وهو هيعوز يقتل «حازم» ليه؟

- ما هو ده اللي أنا راجعته، «حازم» كان أكتر واحد عايز يسجن «يوسف» لدرجة غريبة، كان واخد الموضوع تار شخصي، حتى بعد براءته، علشان كده «يوسف» سافر أول ما خرج من السجن.

تفهّمت «ماجي» أخيرًا ما ظل «هشام» يشرحه لتُعلّق:

- واللئيم استغل الفيزا اللي كان عاملهاله «حازم» نفسه.

- بالظبط كده، على رأي المثل، اللي يجي منك أحسن منك، وبعدين «يوسف» كان معاهم في القنصلية، بس مدخلش مكتب «سامح».

سكتت «ماجي» لحظة مستمتعة بالقضية قبل أن تقول وعيناها تلمع:

- بس في حاجة إنت ناسيها يا «هشام».

اندهش «هشام» من نظرة «ماجي» التي كان يعرف بالفعل ذكاءها، لينتظر حتى تلفت هي انتباهه لما كان «حلمي مهران» سيبحث عنه.

- في سؤال مهم ممكن يكون فيه مفتاح كل القضية: مين هو اللي قتل «روح» لو مش «يوسف»؟

توتر «هشام» الذي كان يعرف أن تلك القضية كانت قد قُيدت ضد مجهول!

***

(٧)

ترك «يوسف» منزل أخته «روح» تاركًا إياها تنزف في المكان في لحظة عودة «حازم» إلى المنزل، ليحاول الأخير إيقافه دون فائدة، فلقد كان «يوسف» يعرف هول فعلته، فأسرع «حازم» إلى الداخل عبر باب المنزل المفتوح، ليجد «ماجد» هناك في المدخل مرتبكًا هو الآخر فيأمره بالتوجه إلى غرفته، قبل أن يهرع إلى مكتبه ليجد زوجته هناك مستلقية أرضًا تحاول التقاط أنفاسها، ليغلق الباب ويجلس «حازم» على المقعد أمامها مصدومًا، فترفع يدها له مُستغيثة غير قادرة على النطق.

- عايزة تقولي إيه يا «روح»، عايزاني أساعدك، طب إزاي وأنا اللي حطيتك في الموقف ده؟!

بحظت عينا «روح» ليومئ هو برأسه مُكملًا:

- أنا كنت عارف إن «يوسف» هيفقد أعصابه، كنت متوقع ده، كنت عايزه يخلصني منك، عارفة ليه؟ علشان عارف إنك بتخونيني مع «سالم».

تزداد «روح» ألمًـــا، بينما يُتابع «حازم» مُنكسرًا وهو يحثو ناحيتها أرضًا.

- إنتي كسرتي قلبي يا «روح»، ده أنا كنت ممكن أفديكي بعمري، ما إنتي يا عمري أعظم مخلوقة شوفتها، بس ليه توجعيني كده، ليه أسمعك بتكلميه، ليه أشوف في

عينك حبك ليه، ليه يا «روح»؟!

دمعت «روح» مُستسلمة، فلقد كانت بالفعل تُحب «سالم» الذي كان لديه ما يفتقر إليه «حازم»، فلقد كان «سالم» رجلًا ذا طابع خاص جدًّا، يستطيع الوصول إلى قلوب النساء دون أي جهد، فبخلاف أنه وسيم كان حالمًا، ينتعش قلبُه بالشباب.

- إنتي قتلتنيني يا «روح»، يا ريتني ما شوفتك ولا حتى عرفتك يا شيخة.

قالها وهو يشعر بألمها، ليدمع هو الآخر.

- لأ ما أقدرش أشوفك موجوعة، يا ريتني أنا وإنتي لا.

قالها وهو يضع يده على فمها وأنفها ليُريحها من هول فعلتها، حتى هدأت وسكنت أنفاسُها مقتولة على يد زوجها الجاني إلى جوارها يبكي، قبل أن يحتضنها باكيًا في صراخ دامٍ، ليسرع الجميع إليه فاتحين باب المكتب ومُشاهدين هذا المشهد المأساوي و«روح» مقتولة بين يدَي زوجها المكسور، إلا أن «ماجد» لم يكن بينهم، فلقد كان هناك خلف النافذة يراقب كامل المشهد في ذهول منذ البداية!

- يعني إنت شوفت أبوك وهو بيقتل أمك قدامك؟!

تساءل «سامح الديب» الآن من أمام «حلمي مهران» في منزل «ماجد» بألمانيا، ليُجيب الأخير أمام خاله «يوسف»:

- للأسف أيوة، إنتوا مُتخيلين يعني إيه الواحد يشوف

أبوه في موقف زي ده؟! أنا شوفته وهو بيقتل أمي، أمي يا ناس، شهور طويلة وسنين بطّلت النطق خالص، الناس افتكروا إني زعلان على موت أمي، لكن ما يعرفوش إني كنت كمان مقهور على كسرة أبويا في عيني، قدوتي اللي مسح جوايا كل معنى للأبوة.

قالها مُتحشرجًا في حروف كلماته، ثم بدأ يبكي، ليقترب منه «يوسف» خاله رابتًا على كتفه، ليتأثر «سامح الديب» مُخفيًا تأثره، إلا أن «حلمي مهران» كان يشعر بمرارته وهو يتابع أسئلته رغم صعوبة الموقف.

- وده اللي خلّاك تسيب البلد! ولما أبوك رجع ممكن تكون فكرت تنتقم منه؟

قالها ليظهر الغضب على «يوسف» الذي تدخّل مدافعًا عن ابن أخته:

- باقولك إيه، لو في حد نفسه يموّت «حازم» في الدنيا هيكون أنا، ده كسرني وذلّني وسجني، قبل حتى ما أعرف إنه قتل أختي، ولو هتحاسبوني إني كنت باهرب في المخدرات من موت أبويا وأمي، فأنا جيت واتعالجت، لكن لسه غضبي جوة ضلوعي زي ما هو، ولو لاقيت فرصة أقتله وأطفّي ناري مش هاتأخر.

قالها بوضوح قبل أن يشتد الألم فجأة على «سامح الديب» الذي بدأ يسعل مِرارًا، ليقترب منه «ماجد» متسائلًا:

- خير، إنت تعبان؟

لم يستطع «سامح الديب» الإجابة، في حين شعر «حلمي مهران» بألم في صدره، وكأنهما واحد في تلك الرؤيا، قبل أن يضطر «سامح الديب» المغادرة، خاصة بعدما أعلن «يوسف» عن ثأره صراحة، ليشعر أن «حازم» شخص قد يكون ممن يستحقون الموت، إلا أنه لم يستطع منع نفسه من التعاطف معه، فلقد كان كلاهما مريضًا بهذا المرض الخبيث الذي يُحرر المرء من ذنوبه، فهو أقسى من قلوب القتلة، كقاتل لا يرحم، يستمتع بتعذيب ضحاياه أكثر من أي مريض نفسي، وكانت تلك هي رؤيته له بعدما اشتد عليه المرض، قبل أن يشعر «سامح الديب» أن الله قد اصطفاه لكي يُنقيه من ذنوبه، بل ليجعل منه شهيدًا خاصًا جدًا في حرب لم تكن أبدًا عادلة إلا من علم الله العالِم بالنفوس، لتظل رحلته رسالة لكل مَن عايشه، فيترجّل «سامح الديب» بصعوبة نزولًا إلى الشارع دون مساعدة في كبرياء وعزة معروفة عن «الديب»، قبل أن يبدأ صديقه الخيالي في الحديث.

- إنت لازم تروح المستشفى.

قالها «حلمي مهران» في رؤياه ليُعلق «سامح الديب» مُبتسمًا كعادته:

- محدش بيموت ناقص عمر يا صاحبي، وبعدين أنا لو مُت مين هيكمل القضية دي؟

- وإنت مهتم بالقضية دي ليه؟

تساءل «حلمي مهران» ليتعلّم درسًا جديدًا من صاحبه.

- اتعلّمت ما أقفلش ورقي، وبعدين اللي زينا متعود يقفّل شغله علشان اللي في رقبتنا.

تدخل «حلمي مهران» مُتفهمًا:

- خلاص أنا هاكمّل القضية، بس إنت ارتاح.

- وهو إنت فين أصلًا! إنت مش مستوعب إن المشهد ده إنت عايشه في خيالك، أنا لسه ما أعرفكش.

انتبه «حلمي مهران» لصدق حديث صديقه، قبل أن يبتسم قائلًا:

- أكيد أنا شايفك في خيالي لسبب، إنت لازم تدوّر عليا، ولازم تبعتلي كل اللي وصلتله، وأنا أوعدك هاكمّل اللي إنت بدأته.

قالها «حلمي مهران» في خياله قبل أن يتبع هذا المشهد وصولًا إلى المستشفى الذي كان يتلقى فيه صديقُه «سامح الديب» العلاج، ليراقب «حلمي مهران» حرب صديقه من أجل أقل حقوق المرء في استنشاق الهواء، حيث كانت رئتاه تجاهدان من أجل اقتناص الأنفاس التي عجز عن فعلها إراديًا ليخضع لتلك الأجهزة الصناعية التي تشتري للمرء بضعة أيام، حاول هو فيها الهروب من الألم، إلا أن حكمة خالقه كانت لسبب أسمى، ليطلب هو من طبيبه إعطاءها قلمًا ليشرح له طلباته، نظرًا لإحكام غلق أجهزة

التنفس الصناعي لفمه، فيبدأ «سامح الديب» رحلته الكئابية التي دوّن فيها وصيته مع الكثير من خواطره، قبل أن يدوّن كل تحقيقاته في تلك الأجندة الخاصة، وفور انتهائه منها بدأ الجميع يسأله عن مصير تلك الأجندة، فطلب هاتفه ليبحث بصعوبة عن أشهر مُحققي القاهرة ومحاميها الأذكياء، ليتبلور من أمامه اسم صديقه الجديد «حلمي مهران» في كل الصفحات، ليرمقه الآن «سامح الديب» واقفًا في ظِلال الغرفة مبتسمًا وهو يكتب اسمه على الأجندة.

«عناية حلمي مهران فهو أكثرنا علمًا».

ساخرًا كتبها كعادته، قبل أن يَثقل وزن القلم في يده حال أنفاسه، فيبتسم فور رؤيته لتلك الجزيرة الخضراء التي تتوسط بحار أحلام «حلمي مهران» ليذهب!

***

دمع الآن «حلمي مهران» وهو يقرأ اسمه المكتوب على أجندة صديقه المتوفّى، قبل أن يرمق من أمامه «حازم» الجالس في فضول من هول المعلومات التي يعرفها «حلمي مهران».

- أنا كنت أسمع عنك كتير يا «حلمي»، بس ماكُنتش متخيل كده، هو إنت مخاوي ولا مرفوع عنك الحجاب؟

ابتسم «حلمي مهران» ماسحًا دموعه، ثم عاد إلى مكتبه وأمسك مكعبه الروبيك المفضّل لديه وبدأ في الإسراع بتجميع ألوانه بشكل لافت للأنظار وهو يتابع حديثه:

- أنا في الأول كنت فاكر كده، بس الحقيقة إني زيي زيك وزي ناس كتير، بس الفرق إني بقيت مؤمن بإن مفيش أسوار لحدود عقلي، العقل اللي ربنا خلق لنا فيه جُزر كتيرة جدًّا، كل جزيرة فيها معلومات مهمة أو ناس بنحبهم، واللي يقدر يحر بين الجُزر دي، بيشوف الدنيا بشكل أوسع.

قالها وقد أنهى مكعبه واضعًا إياه أمام «حازم»، قبل أن يسأله.

- تشرب قهوة؟

- يا ريت.

أشار «حلمي مهران» إلى فرَّاشه «محجوب» الذي دخل ليزيد من آثار المشهد لغموضه وسكوته المريب، فيأمره «حلمي مهران» بجلب القهوة، فيسرع الأخير ويأتي بعد لحظات قليلة بصينية عليها كوب قهوة لـ«حازم»، وتفاحة لسيده الذي أخذها وقضم منها قضمة وهو يعود ليجلس إلى جوار «حازم».

- إنت لازم تبطّل قهوة، وممكن تبدأ تاكل تفاح، بيصحّي أكتر.

ابتسم «حازم»، وقبل أن يُجيب باغته «حلمي مهران» متسائلًا:

- إنت قتلت مراتك ليه؟

توتر «حازم» وهو يتذكر «روح» التي كانت حاضرة في المشهد من أمام «حلمي مهران» الذي لاحظ رعشة الزجاج فور نطق اسمها، وكأنه استحضرها بالفعل، فظن أنه يراها من أمامه هناك تقف خارج النافذة تراقبه.

- أنا المحامي بتاعك وما يهمنيش اللي إنت عملته، طالما أقدر أدافع عنك، أنا كل اللي محتاجه إني أفهم.

استسلم «حازم» لمعلومات «حلمي مهران» قائلًا:

- إنت بتعرف كل الكلام ده منين؟ المواضيع دي عدّى عليها سنين طويلة واتنَست.

- مفيش جرح بيتقفل من غير ما يتداوى. هي خانتك؟

قالها وهو يرمق غضب «روح» من الخارج، بينما أكد «حازم» المعلومة قائلًا:

- كل يوم وكل ساعة، كانت بتبقى معايا بجسمها، لكن روحها مع «سالم».

- إنت تعرفه؟

- طبعًا لأ.

أكد «حازم» رغم أن «سالم» كان يعرفه حق المعرفة.

- طب اتأكدت إزاي؟

- إنت متجوز؟

سكت «حلمي مهران» شاردًا مثل «حازم».

***

كانت «روح» تجد في «سالم» الحنان الذي تفتقده في «حازم»، لتُظهر له حبها المبالغ فيه وهي بين أحضانه على الفراش بعدما أنهيا تلك العلاقة التي استمتع كلٌّ منهما فيها بجسد الآخر؛ ليستلقي «سالم» على سرير «حازم» وهو يرمق السقف في نشوة متسائلًا:

- هو جوزك هيرجع إمتى؟

- ما تخافش لسة فيه وقت، إحنا لسة ماخلّصناش كلامنا.

قالتها قبل أن تسمع صوت طرق الباب، ليقف «سالم» في توتر رهيب مختبئًا خلف الدولاب، بينما حاولت هي تهدئته:

- ما تخافش، ده حد من الولاد.

قالتها وهي تتجه ناحية الباب، لتفتح القفل ثم جزءًا صغيرًا من الباب، لتجده «ماجد» يتساءل:

- هو إنتي بتكلمي مين يا ماما؟

- مفيش حد، ده التلفزيون يا حبيبي.

- طيب هو بابا راجع إمتى؟

التفتت هي إلى الداخل لتُطمئن عشيقها وهي تقول:

- مش قبل ساعة كمان يا حبيبي.

- طيب إنتي قافلة الباب ليه؟

- وبعدين بقى يا «ماجد» بلاش لماضة، وروح على أوضتك.

صارخة قالتها ليغادر «ماجد» في شك، بينما عادت هي إلى الداخل حيث كان «سالم» قد استعاد أنفاسه بصعوبة، لتتوجه إليه وتُقبله قُبلة تلو الأخرى.

- على فكرة أنا بحب جُبنك، أحيانًا بتحسسني بالحياة.

قالتها وهي تُعيده إلى السرير لتُعيد معه الكَرَّة تلو الأخرى، حتى هدأ كل منهما، وفي تلك اللحظة سمعا صوت سيارة «حازم»، ليقف «سالم» مسرعًا مرتديًا ملابسه في ثوانٍ معدودة، قبل أن يهمَّ مغادرًا من تراس الفيلَّا كعادته، ليتسلل إلى الحديقة، بينما كان السائق قد صفّ سيارة «حازم» عند المدخل.

- «حازم» بيه تؤمرني بحاجة تانية؟

قالها السائق إلى سيده الظاهر عليه التوتر.

- لأ شكرًا، اركن العربية في الجراج وروح إنت دلوقتي.

قالها «حازم» وهو يرمق حركة ستارة غرفته، ليهرع بسرعة إلى الداخل وقد صار الشك حليفه، ليصعد السلالم مُهرولًا حتى تعرّق جبينه وصولًا إلى غرفته التي حاول أن يفتحها دون فائدة، فبدأ طرق بابها وهو يُخرج مفاتيحه حتى استطاع فتح الغرفة والدخول، ليجد «روح» زوجته عند

باب التراس في نشوة يفهمها الرجال، فرمق هذا السرير الذي ظهرت عليه آثار معركةٍ ما، فسألها:

- هو مين كان هنا؟

اقتربت منه «روح» وهي لا تزال تشعر بالمتعة داخل رحم مُعاناتها الزوجية قائلة:

- ما تاخدش في بالك يا حبيبي.

قالتها وهي تمسح عرقه، بينما أمسك هو يدها ليلفها حول خصرها وهو يصرخ:

- إنتي بتخونيني، وفي بيتي يا فاجرة!

- إيه اللي بتقوله ده، بلاش جنون بقى.

قالتها صارخة ليهرع «ماجد» إلى الغرفة ويرمق هذا المشهد الحزين.

***

(٨)

بكى «حازم» الآن من أمام «حلمي مهران» الذي كان لا يزال يرمق «روح» من الخارج وهي تُحرك النافذة في غضب، قبل أن يلاحظها «حازم» الذي قال:

- أنا عارف إنها هنا.

اندهش «حلمي مهران» في لحظة دخول «حجاب» ليأخذ الأكواب الفارغة، قبل أن يبقى للحظات وهو يرمق النافذة التي تتحرك، فيبتسم لـ«روح» قائلًا:

- أنا هاقفل الشبابيك، أصل واضح إن الهواء شديد الليلة دي.

قالها «حجاب» ساعي «حلمي مهران» المريب وهو يتوجه ناحية النافذة، بينما يرمقه «حلمي مهران» مُراقبًا قبل أن تغادر «روح» مُطيعة الرجل الذي أحكم إغلاق النوافذ ثم همّ بالمغادرة متسائلًا:

- محتاج حاجة تانية يا أستاذ «حلمي»؟

- أكيد هاحتاج بس مش دلوقتي يا «حجاب»، أكيد هتكلم في وقت تاني.

قالها «حلمي مهران» مشيرًا إلى غرابة هذا الرجل الذي لا يزال يخفي الكثير ثم انتظر حتى غادر، ثم توجه بحديثه إلى «حازم» متسائلًا:

- إنت تقصد إيه، إن «روح» لسة موجودة؟

ارتبك «حازم» قبل أن يقترب من «حلمي مهران» ليقول بصوت منخفض:

- أنا لسة باشوفها لغاية دلوقتي.

- طبيعي تشوفها، ما إنت قتلتها.

- لأ إنت مش فاهم، هي بجد موجودة!

قالها وهو ينظر عن يمينه ويساره ليطمئن، قبل أن يهدأ ويلتفت مرةً أخرى إلى «حلمي مهران» ليجدها فجأة قد صارت واقفة خلف النافذة ليفزع ويصرخ فيقف «حلمي مهران» ملتفتًا ليجدها قد عادت خارج النافذة فيتجه إليها ويغلق الستائر قائلًا:

- بلاش أوهام يا «حازم» بيه.

- مش أوهام، أصلًا ممكن تكون هي اللي هتقتلني.

عاد «حلمي مهران» ليجلس وهو يقول:

- ده اللي هنشوفه.

- وهو إنت هتستنى لما أموت علشان تشوف؟

- مش هو ده كان طلبك؟ أنا هاكتب الوصية وهاعرف مين هيقتلك وهاحرِمه من وِرثك.

دمعتْ عينا «حازم» منكسرًا وهو يقول بصوت متحشرج:

- بس أنا مش عايز أموت.

صادقًا قالها، فلا تزال الحياة هي أغلى ما نمتلك في ظل مجهول نخشاه بعد فناء أجسادنا، اللهم إلا مَن يمتلك عقيدة جعلتْ المجهول معلومًا أمام بصيرته.

- طيب أنا هاقولّك إحنا هنعمل إيه، إحنا هنعمل عيد ميلادك في مكان متأمّن، وليكن في فيلّتك في الساحل، اللي على المياه دي.

اندهش «حازم» وتساءل:

- وإنت إيش عرّفك إني عندي فيلّا في الساحل؟!

ابتسم «حلمي مهران» وهو يُجيب إجابة عامة:

- وهو واحد في إمكانياتك مش هيبقى عنده فيلّا في الساحل إزاي؟

اقتنع «حازم» ليتابع «حلمي مهران»:

- إحنا هنجمّع في عيد ميلادك كل اللي إحنا شاكّين فيهم.

- إنت مجنون؟

- آه.

ببرود أجاب «حلمي مهران» وهو يبتسم ليتابع في ثقة:

- إحنا نجيب القاتل بدل ما يجي لوحده، ده هيصعّب

عليه أوي خطوته اللي بعدها.

- طب ولو سبقنا؟

- ساعتها هاعرفه.

توتر «حازم» مندهشًا وتساءل:

- بس أنا هاكون مُت.

- ده قضاء ربنا، خليك مؤمن أُمّال، ما كلنا هنموت!

ببرود قالها «حلمي مهران» وهو يقف مُتابعًا حديثه:

- بس ساعتها هاعرفه، ما أنا «حلمي مهران».. واللي أقدر أوعدك بيه، إني هاقدر أكتبلك الوصية صح.

ابتلع «حازم» ريقه ليُكمل «حلمي مهران» حديثه وهو يفتح جزء صغير من الستائر ليرمق «روح» المتوقفة في الخارة وهو يتابع:

- وهو ده بالظبط اللي أنا اتعاقدت معاك عليه، إني أنجح في الوصية.

تابع «حازم» في يأس حديثه متسائلًا عن المدعوين، ليُجيبه «حلمي مهران»:

- ولادك التلاتة وخالهم لو في مصر، ومرات ابنك الوسطاني وخطيبته القديمة وأبوها.

- وهو ده هيرضى ييجي؟

- هنشوف، ما هو ممكن يحب يجي علشان يشمت فيك.

بتبجح قالها «حلمي مهران» كعادته وهو يتابع:

- خلاف إنه هيبقى عايز ينفي أي تهمة عن نفسه، وأنا اللي هاديله الدعوة.

- ومين تاني؟

- ابن عم العيال «مهند»، ومراتك «دعاء»، وأكيد هيبقى معايا «هشام» و«ماجي»، ده غيري أنا وأنت طبعًا.

توتر «حازم» عند سماع اسمها، قبل أن يتابع أسئلته:

- طب و«روح»؟

يبتسم لها «حلمي مهران» وهو يقول:

- لأ دي مش محتاجة دعوة، دي صاحبة بيت.

***

زادت عصبية «حنان» نظرًا لعدم اقتناعها بمساعدة «هشام» و«ماجي»، كما رفضت فرض «تيم» نفسه عليها.

- لو سمحتوا سيبوني براحتي.

- لأ مش هنسيبك براحتِك يا «حنان»، لو هما هيمشوا أنا هاستنى معاكي.

قالها «تيم» لتتصل هي بـ«حلمي مهران» طالبة منه الحضور، في اللحظة التي انسحبت فيها «ماجي» من المشهد،

ليتبعها «هشام» مندهشًا وهو يرمق رفضها لاتصالات «حلمي مهران» المتكررة، فيتجه بها إلى كافتيريا قريبة، ليتساءل في فضول:

- مش عوايدك تاخدي جنب من «حلمي».

تنهّدت «ماجي» مُتذكرة حين غادرت مكتب «هشام» دون أن يلحق بها:

- أنا عارفة إني ظالمة!

زاد اندهاش «هشام» لتوضح هي:

- ظالمة إني كنت فاكرة إني أقدر أستحمله، ظالمة إني وعدت وعود مش قادرة أوفي بيها، ظالمة علشان بدفع تمن فاتورة هو ماطلبهاش.

تفهّم «هشام» هو الآخر الحديث وهو يُمسك يدها دون أن تُقاومه.

- إنتي عارفة إن «حلمي» بالنسبة ليا حاجة كبيرة، بس ما ينفعش أبدًا نيجي على نفسنا علشان حد، لأن دي النتيجة، هندفّعهم حساب مش حسابهم.

- أنا عارفة وفاهمة، بس مش قادرة أسامح للأسف، علشان كده حاسة إني ظالمة، أنا ظلمته لما غِيرت من طليقته، ظلمته لما غِيرت من نظرة الستات ليه، ظلمته لما غِيرت حتى من شغله، ظلمته لما حبّيته غصب عني.

قالتها باكية ليقترب أكثر قائلًا:

- ما أنا حبيتك غصب عني!

ماسحًا دموعها قالها لتتجه إليه بالحديث، وهي تسحب يدها:

- بس أنا ظلمت نفسي أكتر لما وافقت على ده، وأنا مش هاقدر أظلم حد تاني.

يعود «هشام» ليُمسك يدها قائلًا:

- لأ، الظلم إنك ما تدّيش علاقتنا فرصة تانية يا «ماجي»، أنا ما بقولش نتجوز بكرة، أنا باقول تدّيني فرصة، مجرد خطوبة.

- هتستحملني؟

- هاستحمِلك.

قالها لتبتسم هي تلك الابتسامة التي تعني الكثير، ليضمها «هشام» قبل أن يرمق «حلمي مهران» من الخارج على دراجته النارية يقود دون خوذة كعادته يقترب من منزل «حنان»، فيلتفت بنظره هاربًا من مواجهته، بينما صف «حلمي مهران» دراجته وأسرع إلى عقار «حنان» ليجد الباب مفتوحًا و«تيم» متوقفًا في ضيق، ليبدأ «حلمي مهران» فحص المكان بعينيه بطريقة احترافية أقلقت «تيم» وإن زادت من شعور «حنان» بالأمان، لتتوجه إليه:

- الحقني يا «حلمي».

ربت «حلمي مهران» على كتفها وهو يسمع منهما الحديث قبل أن يتركها ويأخذ تلك الورقة متسائلًا:

- هو مين اللي لقى الورقة دي؟

رفع «تيم» يده، بينما تفحصها «حلمي مهران» في الضوء ليبتسم:

- طيب خلاص يا أستاذ «تيم» تقدر تروح إنت.

غضب «تيم» مُعترضًا:

- وهو إنت عايزني أسيبها لوحدها مع راجل وأمشي؟

- وهو إنت مش راجل؟

بهدوء قالها «حلمي مهران» لتبتسم «حنان» بينما هو يوضح:

- مش إنت سمحت لنفسك تقعد معاها لوحدك، وأعتقد غصب عنها!

- أمال كنت عايزني أسيبها لوحدها في موقف زي ده؟!

ابتسم «حلمي مهران» وهو يقترب منه ليهمس في أذنه مُهددًا، ليزيد من دهشة «تيم» بينما جلس «حلمي مهران» متابعًا:

- يلَّا علشان ما نتأخرش، وبالمرة تفتح الباب لـ«سالي» زمانها وصلت، ما هو أنا راجل وبافهم في الأصول.. الاتنين..

قالها وهو يُشير بسبابته والوسطى، قبل أن يرن جرس المنزل، فيُشير إليه:

- يلَّا افتح لـ«سالي»، هي هتبات مع «حنان» النهارده، مش عايزك تقلق يا حْنَيّن.

توتر «تيم» وهو يتجه ناحية الباب، ليجد «سالي» مُمسكة بما يشبه بؤجة الملابس وهي تدخل:

- العواف.

بطريقتها الساخرة قالتها «سالي» خاطفة قلوبهم إلا «تيم» الذي علّق:

- هو إنتي عمرك ما هتنضفي يا «سالي»!

- يا أخويا هو إنتو صرفتولي مكافأة تنضفني وأنا اعترضت!

قالتها وهي تقترب من «حنان»:

- ما نجلكِيش في حاجة وحشة يا حبيبتي، قلبي عندك، أنا إن شاء الله هبيّت معاكي، ولما السفاح يظهر نصوّت سوا على التوالي أو التوازي أو زي ما الكبير يقول، صح ولّا إيه يا أستاذ «تيم» يا مسيّطنا؟

- أوباش.

قالها «تيم» وهو يغادر، لتضحك «سالى» فور خروجه قائلة:

- يُنصر دِينَك يا حاج.

لم يبتسم «حلمي مهران» وهو يُشير لها إلى الداخل لتبتلع هي ريقها سائلة:

- آه، أخُش يعني وأطرّقكو؟!

يومئ «حلمي مهران» برأسه موافقًا قبل أن تتابع هي:

- طب ينفع أقعد وما أعملش صوت؟

- يا «سالي» ما تخلصي.

قالتها «حنان» مُبتسمة لتتجه «سالي» ناحية الداخل، قبل أن تلتفت:

- طب أعملكو قرفة؟

لم يُجيبا وظلا ينتظران خطواتها الهادئة إلى الداخل حيث كاد الفضول يقتلها، حتى تأكد «حلمي مهران» من خلو المكان فبدأ حديثه:

- أولًا أنا مش عايزك تخافي، أنا تقريبًا عارف مين السفاح ده.

- إخص عليك، وساكت يا «حلمي»! ما تقولّي.

ابتسم «حلمي مهران» وهو يقص الكثير مما حدث معه خلال اليوم وصولًا إلى استنتاجه الحقيقي، ليبدأ رحلة جديدة بمساعدة «حنان» لإكمال تلك الرحلة للوصول إلى هذا القاتل الذي توقعه «حلمي مهران» بالفعل، إلا

أنه كان ما زال يبحث عن طريقة لقطع الشك باليقين، خاصة بعدما استطاع تحقيق خطته في دعوة كل الضيوف المشكوك في أمرهم على حفل عيد ميلاد «حازم» بالفعل.

***

استيقظ «حلمي مهران» فجأة على خبط شديد على باب غرفته، ليندهش وهو يفتح الباب فيجده الساعي «حجاب».

- في إيه يا «حجاب»، خير؟

- معلش يا أستاذ، في هانم جات برة وعايزاك ضروري.

يندهش «حلمي مهران» وهو يرمق شاشة المراقبة ليجدها «دعاء» زوجة «حازم»، فيرمق الساعة التي لم تصل إلى السابعة صباحًا في تعجُّب، قبل أن يرتدي روبًا كلاسيكيًّا ويتبع «حجاب» إلى الخارج مُتوجهًا إلى غرفة مكتبه حيث كانت هي هناك:

- أنا آسفة إني جيت الصبح في الوقت ده.

أشار إليها «حلمي مهران» لتجلس قبل أن يذهب إلى كرسي مكتبه في انتظار حديثها.

- أنا عايزة أتطلق.

- إنتي جايّالي الساعة ٧ الصبح علشان عايزة تطلقي؟!

- أيوة.

أخذ «حلمي مهران» تفاحة من قفص صغير على مكتبه وقال:

- معلش، أصلي لسة ما خدتش التفاحة بتاعتي علشان أفوق، ممكن تفهّميني.

- أنا لو «حازم» حصل له حاجة، أنا اللي هالبسها، ومحدش هيسمّي عليا، لو هما شايفيني طمعانة فيهم أكرملي أمشي قبل عيد ميلاده.

تنهّد «حلمي مهران» وهو يقول:

- بس ده عيد ميلاده بكرة، وبعدين هو إنتي خايفة ليه، إنتو هتبقوا في مكان متأمّن كويس.

- مش هيكون متأمّن كويس زي بيتنا.

قالتها وهي تُخرج ورقة من جيبها، ليُمسكها «حلمي مهران» ويقرأ ما فيها:

«نعم تلقيت الدعوة، وسأكون من بين الضيوف، ومع ذلك سأقتلك دون رحمة».

أغلق «حلمي مهران» الورقة ووقف قائلًا:

- أرجوك ما تعملش حاجة قبل ما تطلّقني.

- مدام «دعاء»، واضح إنك مش مصدقة فيا لسة.

- بالعكس، ماكُنتش جيت هنا، أنا جايّالَك علشان حقّاني.

- يبقى تطمّني وتسيبيني أتصرف، أنا هالبس وهاجي معاكي البيت.

قالها وهو يتجه إلى الداخل ليرتدي ملابسه من غرفته، دون أن يرفع عينيه من على شاشة المراقبة في تحيص لكل نظراتها وتصرفاتها، قبل أن يتصل بـ«ماجي» التي لم تُجِب في هذا الوقت، ليجرب الاتصال بـ«حنان» التي أجابت من فورها رغم نومها، فيبتسم طالبًا منها القدوم، فلقد كان «حلمي مهران» رغم هيبته لا يزال طفلًا يحتاج إلى مَن يهتم بتفاصيله وهو يقوم بأداء واجبه.

وصل «حلمي مهران» إلى فيلا «الشناوي» حيث كانت هناك «حنان» تنتظره ليدخل إلى حيث كان الجميع بالداخل، بينما كان «حازم» وسطهم لا حول له ولا قوة.

- أنا مش فاهم البرود اللي إنت فيه دا يا «حلمي»، ده وصل بيتي!

- ما هو القاتل من أهل بيتك.

قالها «حلمي مهران» مُواجهًا الموقف، قبل أن يتابع:

- مفيش جديد، إذا كان وصل لغاية القنصلية برة، مش هيعرف يوصل لبيتك، وبعدين كويس إننا اتأكدنا إن القاتل من المعازيم فعلًا.

- إنت بتقول قاتل بسهولة كده!

علّق «حازم» وقد بدأت أعصابه تخونه.

- ما هي دي الحقيقة، المهم إن محدش من المعازيم يعتذر.

من وسط الجميع تقف زوجة «زياد» السمراء ذات الشعر الأسود قائلة:

- بس أنا مش هاجي.

توتر «زياد» والتفت إليها في غضب:

- يعني إيه مش هتيجي؟

- يعني مش هاجي يا «زياد»، أصل أنا مش مُضطرة أشوف حبيبتك القديمة وأبوها كمان!

قالتها الزوجة منكسرة قبل أن تحاول «حنان» التدخل:

- معلش، بس ده لمصلحة أستاذ «حازم».

- وهو أنا يهمني في إيه مصلحة الراجل اللي بوّظ حياتنا كلنا، أنا لو حضرت هاحضر علشان أشوفه بيموت زي ما موّتني هوّ وابنه اللي كل يوم بينام معايا وهو بيفكر في واحدة تانية.

لم تستطع «حنان» التدخل، بينما تابعت الزوجة المنكسرة:

- أنا اللي مزعّلني إنكو وصّلتوني لكده، وأنا مش هاسمح ليكو تاخدوا اللي اتبقى في قلبي، أنا هامشي، وهاستناك

بكرة تموت في عيد ميلادك يا حمايا علشان ابنك يطلّقني ويرجع لخطيبته، عن إذنكو.

قالتها وهي تُغادر وسط سكوت الجميع، ليتوجه «حلمي مهران» إلى «حازم» بالحديث قائلًا:

- أشوفك بكرة في يوم ميلادك.

- تقصد يوم مماتك!

علق «حازم» ليعلق «حلمي مهران»:

- أعتقد إنت يا دوب تبدأ تصلّي.

قالها ثم توقف لحظة وهو ينظر داخل أعين كل منهم متابعًا:

- يا ريت كلكو تصلّوا، كلنا هنحتاج الدعاء بكرة.

مُبتسمًا قالها، ثم التفت ليغادر وسط دهشة الجميع، فيسأله «حازم»:

- إنت رايح فين؟!

- ولا حاجة، هاصلّي أنا كمان.

***

(٩)

وصل «حلمي مهران» إلى طبيبه النفسي «علي» الذي كان يعلم عنه الكثير والكثير، ولقد كانت تلك الزيارة بغرض مهنيّ على عكس العادة ليتفهم «علي» ذلك بذكاءٍ واضح.

- أنا فاهم إنك جاي النهارده في شغل!

قالها «علي» من خلف قناعه الذي دارى تشوّه وجهه منذ سنوات طويلة وبالتحديد منذ قضية «الوحي» تلك القضية التي كان «حلمي مهران» يجهل عنها الكثير، إلا أن طبيبه النفسي «علي» كان ينتظر الفرصة المناسبة لمساومته من أجل مساعدته، فتلك القضية كانت السبب في تشوه «علي» وسجن شخصية صار يحتاجها بشدة في الآونة الأخيرة:

- بحب فيك ذكاءك يا دكتور، علشان كده هاختصر الموضوع، أنا جاي بخصوص «دعاء».

- «دعاء» مين؟

- لأ ده أنا لسة باقول إنك ذكي.

توقف «علي» عن الحديث في انتظار متابعة حديث «حلمي مهران» الذي قال:

- إنت عارف كويس إن «دعاء» مرات «حازم المنشاوي» كانت مريضة عندك، أنا شوفتها مرة زمان وأنا

ما بانساش.

كانت بالفعل تلك الحقيقة التي أخفاها «حلمي مهران» عن الجميع، فمنذ إصابته وصارت له ذاكرة حديدة لما بعد الحادث عكس ما تناساه قبله.

- إنت عارف يا «حلمي» إني باحافظ على أسرار المرضى، ده كان سبب إنك تشتغل معايا من الأول.

بالفعل كانت تلك هي النقطة الفاصلة في تردُّد «حلمي مهران» على دكتور «علي» بعدما تأكد من كتمانه في إحدى القضايا، ليظن أنه مستأمن على سره، حيث كان «حلمي مهران» لا يزال يشك أنه هو القاتل المتسلسل المعروف في الشارع المصري بـ«ابن آوى» هذا القاتل الذي يترصد بكل من يهرب من العدالة، ليظل «حلمي مهران» يشعر أنه يطبق القانون صباحًا وينفذ العدالة ليلًا، إلا أنه لم يستطع إيجاد اليقين أبدًا، لذا فضل التردد على هذا الطبيب النفسي لاستكشاف حقيقة نفسه.

- طيب اختصارًا للوقت، أنا عارف إني كنت جاي من غير ميعاد، وأكيد مواعيدك اتلخبطت، أنا محتاجك المرة دي في قضية، بس ممكن تنقذ بني آدم...

ابتسم «علي» وهو يقاطع «حلمي مهران»:

- بُص يا «حلمي»، أنا مش هاغيّر كلامي مهما عملت، لكن بالنسبة لـ«دعاء» هي ماكانتش مريضة، دي كانت موظفة هنا وأنا طردتها.

بذكاء أجاب «علي» في إشارة لعدم ممانعته بكشف ورقة «دعاء» ليبتسم «حلمي مهران» الذي أمسك طرف الخيط:

- طيب أنا محتاج أعرف أكتر..

- وأنا محتاجك في خدمة..

اندهش «حلمي مهران»، فلم يعتدْ تلك النبرة من حديث الرجل الذي وقف وجلس أمامه.

- زي ما إنت جايلي في شغل، أنا كمان جايلك في شغل، إيه المشكلة؟

- لأ مفيش مشكلة، فهّمني إيه المطلوب!

تساءل «حلمي مهران» وهو يشعر بشيء من التوتر:

- ولا حاجة، قضية قديمة ومقفولة من سنين، بس اللي محبوسة فيها مظلومة ومفيش أحسن منك يترافع عنها.

قالها «علي» كاشفًا الستار عن احتياجه لدخول «حلمي مهران» عالم «الوحي» تلك القضية التي لامست الرأي العام نذ بضع سنوات.

- طيب ماشي أبقى أشوف ملف قضيتها ونتكلم.

- لأ مفيش كلام، إنت هتترافع عنها!

بنبرة آمِرة قالها «علي» الذي كان في احتياج إلى تلك المرأة المسجونة، والتي تم سجنها بعد قضية «الوحي»، وإن كان يجهل أن تلك القضية ستُفرض عليه من قريب، بل

إنها قد تُصبح قضيته القادمة.

- بس ما تخافش، أنا هادفع كويس، والنهارده هادّيلك العربون.

قالها وهو يسند ظهره في نفر مُتابعًا:

- «دعاء» دي ما طوّلتش هنا، واتطردت علطول.

تساءل «حلمي مهران» في فضول عن السبب ليجيبه «علي» من فوره:

- علشان كانت بتسرق معلومات عن المرضى.

توتر «حلمي مهران»؛ فلقد كانت السرية تعني له الكثير، ليبتسم له «علي» مطمئنًا:

- ما تخافش يا «حلمي»، إنت اللي زيك بياناتهم ما بتتكتبش خالص، دي في عقلي.

مُشيرًا بسبّابته إلى رأسه قالها وهو يتابع قصة سرقة «دعاء»، ليكتشف أن «علي» هو مَن أرسل «حازم» إليه من البداية، ليتفهم «حلمي مهران» قصد «حازم» في البداية حين ذكر سابق معرفة صديق له، كما استطاع «حلمي مهران» للتو ربط الكثير ليهمّ مُسرعًا بالمغادرة، فيستوقفه «علي»:

- خلّي بالك يا «حلمي»، إنت في زيّك كتير.

لم يتفهم «حلمي مهران» في تلك اللحظة قصد «علي»

ولكنه كان يعني أن هناك الكثير من البشر لديهم شخصيات أخرى مثلما يمتلك «حلمي مهران» شخصية «ابن آوى» مخبأة في ضلوعه، بعيدًا عن كل البشر، ليغادر الآن غير مُنتبه إلى «فؤاد» الذي كان ينتظر في الخارج، وهو زوج طليقة «حلمي مهران» وغريمه الذي بدأ هو الآخر التردد على الدكتور «علي» من أجل انتقام يخطط له في المستقبل!

- مش معقولة كده، ده بقى بيطلعلي في كل حتة!

قالها «فؤاد» فور دخوله للدكتور «علي» الذي كان يخطط للكثير الذي يجهله «فؤاد» نفسه.

- أنا حقيقي محتاج أوقّفه عند حده، مش كفاية مبوظ عليا حياتي مع «وعد».

كانت «وعد» هي طليقة «حلمي مهران» وأم ولده الوحيد «وليد»، ولكنها أنجبت من «فؤاد» ابنة أخرى تدعى «إيمان»، قبل أن تتغير مشاعرها مرة أخرى ويشعر «فؤاد» أنه قد صارت متعلقة بـ«حلمي مهران» هي الأخرى خاصة بعد تغيير طباعه منذ الحادث وامتلاكه لتلك الجرأة والكاريزما الساحرة.

- لسه بدري يا «فؤاد»، أنا لسه محتاج «حلمي».

قالها «علي» من خلف قناعه قبل أن يبدأ جلسته مع «فؤاد» الذي ظل يشكو من مرارة تعلُّق زوجته «وعد» بطليقها «حلمي مهران»؛ الأمر الذي جعل منه هذا

الشخص الثائر الذي يحتاج إلى العلاج بالفعل.

- عمومًا يا «فؤاد» مفيش عندك جديد، بس كل اللي أوعدك بيه إني هاخلّيك تاخد حقك من «حلمي»، بس في الوقت المناسب.

قالها «علي» مُنهيًا جلسته، ليغادر «فؤاد» عائدًا إلى بيته، ليصف سيارته وهو يرمق دراجة «حلمي مهران» النارية مُتوقّفة بتعمُّد عند مدخل العقار، فيزداد غضبه وهو يصعد في ثورة، ولكنه يجد باب شقته مفتوحًا، فيدخل ليجد «حلمي مهران» بالداخل مع ابنه «وليد»، ليهدأ نسبيًّا، ويطلب من «وليد» الدخول.

- «وليد» يا حبيبي، ممكن تخش أوضتك، أنا عايز باباك شوية.

قالها «فؤاد» بينما توقف «حلمي مهران» مُمسكًا بابنه وهو يقترب من «فؤاد» الذي كان أطول منه نسبيًا، ولقد كان «فؤاد» فنانًا في النحت إلى جانب عمله في مجال التشطيبات.

- وهوّ في حاجة ممكن تعوزني فيها مش عايز تقولها قدام ابني؟

بقوة وتحدٍّ قالها «حلمي مهران» ليربك «فؤاد»:

- بلاش تدخّل العيال في اللي بينا يا «حلمي»!

قالها «فؤاد» في لحظة خروج زوجته «وعد» من الداخل

والتي استعادت رشاقتها وجمالها الهادئ بينما كانت تمسك بابنتهما «إيمان»، فيقترب «حلمي مهران» أكثر من «فؤاد» ويهمس في أذنه:

- مش معنى إني ماسلّمتش عليك عند دكتور «علي»، إني ماشوفتكش!

توتر «فؤاد» الذي تفهم أن «حلمي مهران» قد أدرك وجوده عند طبيبه النفسي قبل أن يلتفت إلى ابنه «وليد» جاثيًا له على ركبتيه ليقول:

- حبيبي، أنا هاسيبك مع ماما وعمك «فؤاد» بقى، بس هاجيلك آخدك الجمعة كالعادة.

- بس إنتَ واحشني.

قالها «وليد» المرتبط بوالده وعالمه الفريد، حيث كان ابنه قد صار محققًا في عالم الإنترنت يفك الألغاز الصعبة تيمنًا بوالده الذي كشف له الكثير مما يسبق سنه:

- وانت كمان واحشني وعمومًا أنا مجهّزلك لعب الذكاء اللي بتحبها، وأكتر كمان.

غامزًا لابنه قالها مشيرًا إلى قضايا جديدة سيكشف عنها لابنه الذي ابتسم قائلًا:

- لأ أنا عايز أورّيك اللي اتعلمته بالذكاء الاصطناعي.

ابتسم «حلمي مهران» متوترًا وهو يتذكّر ما حدث له في القضية السابقة في مكالمة الموت التي كادت تقضي على

عقله.

- واضح إن مستقبلك هيبقى أصعب مني يا حبيبي!

قالها «حلمي مهران» وهو يقف هامًّا بالمغادرة قبل أن تستوقفه «وعد» بلمعة عينيها:

- مالحقتش تقعد يا «حلمي».

في ود أزعج «فؤاد» قالتها، فلقد صارت «وعد» تشعر بتلقائية بالأمان في وجود «حلمي مهران»:

- معلش خليكي في جوزك وبنتك.

قالها مبتسمًا لابنتها، قبل أن يشير إلى «وليد»:

- خدي بالك منها زي «وليد».

خاطفًا قلبها قالها وهو يغادر؛ ليزيد من كره «فؤاد» المبرر له، ثم ترجل بعدما تأكد مما كان يريد التأكد منه، بعدما شك في نوايا طبيبه «علي» الذي كان يظنه كاتمَ أسراره، ليتجه إلى دراجته النارية شاعرًا بتلك الوحدة المؤلمة خاصة بعد اختفاء «ماجي» لعدة أيام، فقرر التوجه إلى صديقه «هشام» بمكتبه في لهفة له، قبل أن يُقابل مساعده «فريد» خارج مكتبه:

- أستاذ «حلمي»، منوّر الدنيا.

- كبيرك موجود جوة؟

- لأ.

قالها «فريد» النحيف كاذبًا ليشعر «حلمي مهران» بكذبه وهو يرمق الباب المغلق ومن أسفله إضاءة واضحة:

- أمال مين جوة؟

- لأ ده العقيد «هشام».

بطريقته الساخرة قالها وهو يقف عند الباب.

- إنت بتستعبط يا بني؟

- الصراحة آه يا باشتنا، بس اسمع من «فريد» الفريد، بلاش تخُش علشان ما تزعلش.

تعجّب «حلمي مهران» من ردود «فريد» الذي تابع:

- أصل الأستاذة «ماجي» معاه جوة.

ابتسم «حلمي مهران» حين سمع اسمها، قبل أن يوضح «فريد»:

- لأ ما تضحكش ما أنا هفهّمك، أصل وأنا قاعد اتصنّت على الباب.

- بتعمل إيه؟!

- وأنا لا مؤاخذة باتصنّت، كالعادة يعني، قوم إيه سمعت إنهم هيتخطبوا، فايصحّش يعني نخش عليهم في ظروف زي دي.

حزنَ «حلمي مهران» وهو يُشير إليه ليبتعد طارقًا الباب ليدخل إليهما.

- «حلمي»، واحشني يا صاحبي.

صادقًا قالها «هشام» وهو يتوجّه إلى صديقه بالتحية، ليبتسم «حلمي مهران» له قبل أن يتجه إلى «ماجي» ببرود قائلًا:

- مبروك يا عروسة، بس مش كُنت أعرفها منك!

توترت «ماجي» وهي تنظر إلى «هشام» غاضبة:

- إحنا لسة ماقولناش لحد!

- والله ما قولت حاجة.

مدافعًا عن نفسه قالها «هشام» قبل أن يجلس «حلمي مهران»:

- طيب عمومًا أنا كده عرفت إنتي كُنتي ما بتجيش الشغل ليه.

سكتت «ماجي» ليتابع هو:

- بس دلوقتي أنا محتاجكو معايا بكرة في الساحل.

- إشمعنى؟

شرح «حلمي مهران» خطته التي اعترض عليها «هشام» بحجة واهية:

- بس القاتل مش شرط يكون من المعازيم، والدليل على كده الرسالة اللي جات لـ«حنان».

قالها «هشام» لتعلق «ماجي» بكيد وغيرة.

- ولّا إنت ما تعرفش يا «حلمي»؟

ابتسم «حلمي مهران» وهو يُخرج الورقة من جيبه:

- لأ عرفت، بس اللي بعتها ملوش علاقة بالقاتل.

اندهش «هشام» مُستمتعًا بذكاء صديقه كمُعجبٍ بنجم مُفضّل.

- الورقة دي لو ركّزت هتلاقي في ضهرها حروف بخط صغير، وده خلاف بقية الورق، والأهم إنه كان محطوط على جرنال.

- طب وفيها إيه؟

تساءلت «ماجي»، ليجيبها «حلمي مهران» مستمتعًا:

- هو آخر حد منكو شاف جرنال كان إمتى؟

مُشيرًا إلى اندثار تلك الصناعة قالها وهو يتابع:

- علشان كده أعتقد إن الورقة دي خارجة من جريدة «حنان».

- وهو مين ليه مصلحة في كده؟

تساءل «هشام» ليُجيبه «حلمي مهران» وهو يرمق عين «ماجي»:

- مُحب ولهان حَب يخوّف حبيبته علشان يستمتع بخوفها

ويقرّب منها يطمّنها.

- «تيم»؟!

قالتها «ماجي»، ليومئ «حلمي مهران» برأسه موافقًا، فيعترض «هشام»:

- بس ده مجرد تخمين.

- حقيقي، بس لما شوفت «تيم» اتأكدت من عينيه؛ ما هي دي هبَة من ربنا محدش يقدر ياخدها مني بسهولة.

بثقة قالها «حلمي مهران» ليصدقه «هشام» من فوره مُستمتعًا ليقول:

- علشان كده هو اللي لاقي الورقة؟!

قبل أن يتذكر «هشام» رسالة الجريدة فيرتبك ويعود للتساءل:

- بس برضه القاتل بعت رسالة فعلًا!

- عندك حق، ما هو «تيم» استغل الموقف، لكن فعلًا القاتل بعت الرسالة دي، علشان كده محتاجين نتحرك بسرعة، أنا هاسيبكو وهاروح مشوار، وبكرة هشوفكو في الساحل.

أجابه «حلمي مهران» شارحًا ما حدث، لتتساءل «ماجي»:

- مش هنسافر مع بعض؟

- لأ، ما هو أنا هاسافر على الموتوسيكل بتاعي، وأكيد مش هيناسبكو!

قالها «حلمي مهران» وهو يغادر قبل أن يستوقفه «هشام» في فضول:

- فِكرك هيطلَع مين القاتل؟

يبتسم «حلمي مهران» وهو يُجيب:

- محدش من اللي أنا قابلتهم.

- يعني مين؟

كرر «هشام» تساؤله، ليُجيبه «حلمي مهران»:

- العشيق.

***

خرجت «دعاء» صباحًا من الفيلا وهي تتسحّب كاللصوص مُتجهة إلى الحديقة لتقوم باتصال خاص لعشيقها:

- أيوة يا حبيبي، واحشني.

- مش قدّي يا «دعاء»، أنا حاسس إن النهارده عيد ميلادي أنا.

في إشارة إلى مقتل «حازم» قالها لتوافقه هي الأخرى:

- دي حقيقة، النهارده هنخلص من «حازم» وما

يتبقّاش غيرنا، العُمر كله هنبقى سوا.

- إنتي عارفة إني هاقتله علشانك إنتي؟

- لأ ما تجيبهاش فيا، إنت حاطُّه في دماغك من زمان.

ابتسم «سالم» موافقًا إياها، فلقد كان «حازم» ندًّا عنيدًا له منذ سنوات طويلة.

- الصراحة عندِك حق، بس برضه اللي باعمله ده علشانك إنتي.

- طيب ما تنساش تسيب الورقة اللي اتفقنا عليها، لازم «حلمي مهران» يشك في ولاده كلهم، لازم يحرمهم من الميراث.

قالتها «دعاء» كاشفة عن مخططها لـ«سالم» التي كانت تستغله من أجل تحقيق غايتها.

- عارفة إني بحب فيكي طمعك ده؟ علشان الطماع يحب الدنيا زيي كده بالضبط.

- علشان كده يا روحي إحنا لايقين على بعض!

بدلالٍ قالتها لتزيد من إثارته فيقول:

- الصراحة آه، خصوصًا بالفستان الأبيض اللي هياكل منك حتة ده.

قالها لترمق «دعاء» فستانها الأبيض، فتتأكد من رؤيته لها، وتلتفت حولها باحثة عنه حتى ترمقه داخلًا الفيلا

بالفعل!

(١٠)

وصل «حلمي مهران» إلى «فتحي» خال «هشام» المؤمن بكل ما هو ورائي، والذي كان يلجأ له دومًا عند مواجهة كل ما هو غريب، حتى صار مقربًا من «حلمي مهران» يعتبره ولدًا له مثل ابن أخته «هشام»، ليُجالسه في تلك البلكونة المطلة على الشارع والتي تكشف له الحياة، فيستمتع بحديثه الشيّق المتماشي مع كل ما يحب.

- طب وهو إنت متضايق ليه يا «حلمي»، هو في حد لاقي صاحب زي ده؟

متحدثًا عن «سامح الديب» قالها «فتحي» بعدما سمع كل ما قصه «حلمي مهران» عن رؤيته لـ«سامح الديب» في خبايا عقله عند الجزيرة:

- بس ده تُوفي يا خال «فتحي».

- طب ما كلنا هنموت يا بني، لكن في ناس سيرتها بتخلِّدها.

بعقلانية أجاب الخال «فتحي» ليتابع «حلمي مهران» تساؤلاته:

- بس أنا ما عرفتوش قبل ما يموت.

- مش مهم، المهم إنك عرفت قيمته لبَعد ما مات.

بعمق أجاب الخال «فتحي» مشيرًا إلى سيرة «سامح

الديب» الطيبة وحثه على إرسال الأجندة إلى «حلمي مهران» دون سابق معرفة، بعدما تيقن من قيمة الأخير في توافق روحاني لامس قلب «فتحي».

- يعني اللي أنا شوفته وسمعته ده صح ولّا لأ؟

- برضه مش مهم.

- يعني إيه يا خال «فتحي»! هو أنا مش جاي أفهم منك؟!

بتوتر تساءل «حلمي مهران» المهموم بكل ما في صدره:

- لأ، إنت جاي تتكلم، وإنت فاهم كل حاجة، «سامح» صاحبك كان فكرة، والفكرة ما بتموتش يا «حلمي» وإنت عارف، إنت بس من كُتر إيمانك بالفكرة دي، كان نِفسك تشوفه.

قالها الخال «فتحي» متابعًا بنبرة أقل هدوءًا:

- يا بني الجزيرة إللي في مخّك دي، وكل اللي فيها من خيالك، بس الخيال ده بيتبني على خبراتنا الحياتية، فصرف النظر أنت شوفته ولا لأ، «الديب» حقيقة.

- يعني مش ممكن يبقى الموضوع كله كدبة؟

تساءل «حلمي مهران» في تشتت لم يستطع الجهر به إلا أمام الخال «فتحي» لما يجسد له من روحانيات، كما كان يذكره دومًا بوالده المتوفي والذي كان نقطة ضعف «حلمي مهران» الذي طالمًا حاول التأكد من نخره به.

- لأ يا بني، الموت حق، ويمكن الحقيقة الوحيدة في حياتنا، وزي ما ربنا قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (سورة فاطر الآية 5).

سكت «حلمي مهران» لحظة وهو يستوعب تلك الكلمات بينما تابع الخال «فتحي»:

- الموت يا «حلمي» هو الحقيقة الوحيدة، المهم دلوقتي تعتبر من موته، ما هو الموت عبرة لمن لا يعتبر يا بني، ويلّا اجهز صاحبك وصل.

شرد «حلمي مهران» قبل أن يجد «هشام» قد دخل مع «ماجي» بالفعل.

- إنت هنا؟!

تساءل «هشام» مندهشًا ليجيبه «حلمي مهران» عائدًا من شروده:

- آه معلش كنت لسة ماشي.

وقف «حلمي مهران» قبل أن يبتسم لهما مُتابعًا وهو ينظر إلى «فتحي»:

- خليك إنت بقى يا خال «فتحي» مع العرايس.

مُشيرًا إليهما قالها وهو يهمّ بالمغادرة، قبل أن يرمقهما «فتحي» مُنقبضًا من تلك الزيجة!

***

من عند مكتب «حلمي مهران» خرج هو مُمسكًا بحقيبة ظهره، قبل أن يجد «حنان» واقفة عند دراجته النارية وهي تضع على ظهرها حقيبة ظهر هي الأخرى.

- ممكن آجي معاك؟

- بس أنا معنديش خوذة تانية.

أشارت إلى رأسه حيث لم يرتدِ هو واحدة كالعادة وقالت:

- ولا أوّلانية وحياتك.

ابتسم «حلمي مهران» وتساءل:

- مش هتخافي؟

- هاطمّن بيك.

بود اقترب منها «حلمي مهران» قائلًا:

- معلش، القاتل كان هدّدك بجد، وأنا مش هاراهن عليكي، حتى وأنا مطمّن.

قالها وهو يُشير إلى «سالي» التي كانت مُختبئة خلف سيارة «حنان».

- وإنتي يا «سالي» تعالي هنا.

- هو إنتَ شوفتني! حسبي الله ونعم الوكيل.

بجدية تابع «حلمي مهران» آمرًا إياها بالحذر:

- أجّلي الحسبنة دي لبكرة، وخليكي مع «حنان» لغاية ما أرجع.

- وهو مين يقدر يقربلها وأنا موجودة؟! ده أنا مِستر كاراتيه.

ابتسم «حلمي مهران» مرة أخرى وهو يركب دراجته البخارية قائلًا:

- طب عرفتوا حاجة عن «سالم»؟

- للأسف لأ، وكل اللي شافوه معهمش صورة بطاقته.

- طيب حِيث كده يبقى لازم أسبقهم.

قالها وهو يودّعهما بأسلوبه المميز الخاطف للقلب، وقبل أن يتجه إلى الطريق الصحراوي عبر من جانب سيارة «هشام» التي كانت «ماجي» إلى جانبه فيها ترمقه في حسرة.

- هتخليه يسبقنا ولّا إيه يا «هشام»؟

بندية علقت «ماجي» ليسخر منها «هشام» قائلًا:

- ما هو إحنا أصلًا مش في سباق يا «ماجي»!

ابتسم «هشام» لصديقه الذي كان يقود مُحلقًا كالنسر، يحاول نسيان همومه مع شعوره بتلك الحرية، حتى وصل إلى الساحل الشمالي ليلًا عابرًا الكثير من نقاط التفتيش

الخاضعة لإدارة المطور العقاري المسؤول عن القرية، وصولًا إلى خارج الفيلا التي جمعت الضيوف الذين طلبهم «حلمي مهران» المنتظر وصول «ماجي» و«هشام» المتأخرين قبل أن يصل «الطوخي» الذي ترجل من سيارته وأسرع إلى «حلمي مهران» في غضب.

- بنتي فين؟

تساءل «الطوخي» الذي كانت ابنته قد سبقته في خوف مرعب إلى الداخل، بعدما عرف والدها الكثير حول علاقتها المستمرة بـ«زياد».

- أكيد جوا ماتستعجلش.

أخرج «الطوخي» سلاحًا واتجه إلى المدخل في ثورة:

- وأنا بقى جاي عشان أخلص عليهم.

قالها في لحظة وصول «هشام» الذي أسرع في صف السيارة بطريقة مثيرة وهو يخرج سلاحه ليضرب طلقة نارية في الهواء أربكت الجميع من الداخل والخارج، إلا أنها أثارت «ماجي» التي رمقته بنظرة مختلفة فجأة.

***

من الداخل كان الجميع هناك بعدما استطاع «هشام» السيطرة على «الطوخي» ليجلس هناك من أمام «هشام» الحامل سلاحه في وجهه بينما «نسرين» تبكي من هول الموقف، ليبدأ «حلمي مهران» الحديث:

- أحب أعرفكو بالعقيد «هشام» من النيابة العامة، هيكون معانا النهارده هنا علشان أي طوارئ، زي دي.

قالها قبل أن ينظر إلى «ماجي» متابعًا:

- و«ماجي» خطيبته.

متهجمًا قالها ليستفزها قبل أن يتابع:

- ودراعي اليمين.

في الحقيقة قالها وقلبه يعتصر ألمًـــا دون أن يُظهر ذلك في كبرياء ذكوري قاتل لأصحابه ثم تابع:

- طيب بما إن كلكو هنا، في حد عايز يقول حاجة؟

تدخّل «الطوخي» رافعًا صوته:

- أنا بقولكو أن مش معنى أنكو خدتو سلاحي أني هسكت، أنا جيت هنا علشان أشمَت في الراجل ده، بس لو ما ماتش النهارده، أنا هاقتله بنفسي.

قالها وهو يجلس رامقًا ابنته في مشاعر مختلفة لا يعرف حقًا ما يتوجب عليه فعله شاعرًا أنه كان يتمنى زوجته المتوفية في تلك اللحظة، حيث كان غاضبًا من أفعالها، كما كان مشفقًا عليها ليتابع وهو يرمقها.

- ما هو أنا هأعرف أجيب حق بنتي كويس.

- مفيش داعي للكلام ده دلوقتي.

علّق «هشام» الذي أخذ دور السلطة العاقلة قبل أن

يتدخل «زياد»:

- وأنا مُستعد أصلّح غلطتي!

هدأ «الطوخي» وهو يراقب «حازم» المنهزم لا حول له ولا قوة، قبل أن يتدخل «ماجد» مزيدًا من الشعر بيت:

- وأنا هامشي الصبح، هارجع لخالي «يوسف» في ألمانيا، ده طبعًا بعد ما الليلة دي تعدّي.

- وأنا هاتجوز «يارا»، حتى لو هتحبسني يا عمي!

قالها «مهند» ناسيًّا أن تلك قد تكون ليلة عمه الأخيرة، ليقاطعه «حازم» أخيرًا:

- إنتو هتعملوا ده لو عِشت ولّا لو مُت؟

كان السؤال صعبًا، فلم يتمكن أحدهم من الجواب، ليبدأ هو في الصعود على السلّم سلمة تلو الأخرى، قبل أن يلتفت:

- أظن كده يا «حلمي» أنا مش محتاج قاتل علشان أموت، أنا أكرملي أموّت نفسي علشان أقرب الناس ليا يرتاحوا.

- ما تقولش كده يا «حازم»، بعد الشر عليك.

علّقت «دعاء»، ليرمق «حلمي مهران» كذبها الملحوظ باشمئزاز قبل أن يتحدث:

- إنت بني آدم يا «حازم»، وعادي إنك تغلط، بس المهم تحاسب على مشاريبك.

- بس اللي عمله مع ولاده ما يتسامحش.

قالتها «ماجي» مُتعدية «حلمي مهران» الذي أضاف بعُمق لا يملكه الكثير:

- محدش عنده الصورة كاملة علشان يقدر يحكم، ربنا بس هو العالم باللي في نفوسنا.

بدأت النوافذ تتحرك غاضبة، ليُستثار الحس الأمني لـ«هشام» متسائلًا:

- طيب هو في حد هنا غيرنا؟

ابتسم «ماجد» وهو يتلفّظ باسم أمه «روح» في تلك اللحظة التي ارتعشت فيها الإضاءة، قبل أن تضيف «دعاء»:

- في السوّاق برة.

- إزاي تعملوا كده؟

اندهش «حلمي مهران» متوترًا وخرج مُسرعًا طالبًا من «ماجي» أن نغلق الباب خلفه ليظل يبحث عن السائق، حتى وجده وسيمًا في مثل عُمر «حازم» ليقترب منه في شك كشفه متسائلًا:

- إنت «سالم»؟

توتر السائق وبدأ يتلعثم وهو يُجيب بالنفي:

- لأ أنا «خيري» السواق.

بصدق أجاب السائق الذي لم يفهم ما يحدث بالفعل:

- هو إنت لسة مافهمتش يا «حلمي»!

سمعها «حلمي مهران» للتو، ليلتفت حول نفسه في المكان، فيجد «روح» هناك واقفة والغضب يملأ قلبها هازًا المكان كله، فيرمق كل تلك النوافذ المتحركة.

- هو إنتي عايزة إيه؟

قالها «حلمي مهران» وهو يتبع «روح» التي تتحرك إلى الشاطئ.

- ما تردي عليا.

التفتت «روح» غاضبة وصرخت صرخة زادت من عصف الجو المتقلب.

- عايزة حقي.

توتر «حلمي مهران» رغم رصانته بينما تابعت هي بنبرة أقل هدوءًا:

- أنا عايزة شرفي، أنا استحملت كتير، ومش هاقبل في الآخر أموت خاينة.

- بس إنتي خُنتيه فعلًا، أنا شوفتك!

بحدة قالها «حلمي مهران» مدافعًا عن هيبته، قبل أن تعترض «روح»:

- محدش بيشوف غير ربنا، أما إنتو فبتشوفوا بس اللي إنتو

عايزين تشوفوه.

ارتبك «حلمي مهران» من صدقها في خياله لتتابع هي سرد الحقيقة:

- أنا ماخُنتش يا «حلمي» حتى اسأل صاحبك!

قالتها مشيرة إلى صديقه «سامح الديب» المستلقي عند البحر ساندًا كلتا يديه خلفه يرمق الأمواج ليلًا مستمتعًا قبل أن يجد «روح» قد تركته وتوجّهت للمياه، فأدرك أنه لن يستطيع اللحاق بها، فهرع من فوره بلهفة إلى صديقه:

- «سامح»! أنت فين!

- هكون فين، أنا مابتحركش من مكاني!

مشيرًا إلى مستقره الأخير قالها «سامح الديب» المستمتع بالسماء وهو يتابع:

- القضية سهلة أوي يا «حلمي»، ده إنت المفروض أحسن واحد تفهم.

- إشمعنى أنا؟

تساءل «حلمي مهران» يحاول إدراك الرسالة:

- زي ما قالك الدكتور «علي»، إنت في زيك كتير.

قالها «سامح الديب» وهو يُشير إلى هذا الكلب الجالس عند المياه من فصيلة «ابن آوَى»، والذي يعكس أيديولوجية «حلمي مهران» في تطبيق العدالة، قبل أن تبدأ

الغمامة تُرفع عن عين الأخير شيئًا فشيئًا.

- إنت تقصد...

- أيوة يا «حلمي»، «حازم» ماجالكش صدفة.

بدأ «حلمي مهران» يجمع خيوط القضية.

- زي ما أنا ماجِتلكش صدفة يا صاحبي، «علي» هو إللي بعتهولك.

- أنا بدأت أفهم.

صدق «حلمي مهران» ليبتسم «ساحر الديب» وهو يتابع:

- العدو اللي أنا واجهته صعب، مش أي حد يقدر يواجهه، ولا يقدر حتى ينهزمله.

في كناية إلى المرض الذي واجهه «ساحر الديب» تابع الرجل موضحًا:

- المرض ده أصعب من الموت نفسه، لأنه بياخد مننا أحلى سنين عمرنا، المهم إنك فهمت في الآخر يا «حلمي»، يلَّا أشوف وشك بخير.

قالها «ساحر الديب» وهو يقف متجهًا إلى البحر حال «روح» ليستوقفه «حلمي مهران»:

- إستنى، رايح فين؟!

أشار «ساحر الديب» إلى البحر التي كانت «روح» قد استقرت فيه.

- أنا ماشي بقى.

- لأ ما تمشيش، أنت مكانك هنا.

قالها «حلمي مهران» شاعرًا بضعفه أمام «سامح الديب» الذي ابتسم وهو يربت على كتف صديقه.

- بالعكس، أنا عُمر مكاني ما كان هنا يا «حلمي».

- بس أنا عُمر ما حد سمعني ولا فهمني زيك.

علق «حلمي مهران» الذي فهم سبب تعلقه بوهم صديقه الذي أضاف.

- يمكن إنت كمان مكانك مش هنا، ما أنت كنت معانا على الجزيرة ورجعت فترة، حاول تستثمرها قبل ما تجيلنا.

ابتسم «حلمي مهران» قبل أن يتابع «سامح الديب»:

- الرحلة مهما طوّلت قصيرة، المهم تخلّص فيها اللي المفروض تخلصه، لازم تنجح في الامتحان زيي يا «حلمي»، ممكن في أي وقت تنسحب منك الورقة، خلي بالك من إجاباتك، وخُش خلّص القضية، وإدي كل واحد حقه.

هربت دمعة من عين «حلمي مهران» المستمع إلى وصايا صديقه الذي تابع.

- وماتخافش يا «حلمي» ربنا كريم ورحيم، وأنت لو احتاجتني أي وقت إنت عارف هتلاقيني فين، يلّا سلام

يا صاحبي.

ودع «حلمي مهران» دامعًا صديقه المبتسم صاحب العينين الخضراوين قبل أن يختفي عن أنظاره تاركًا هذا «الديب» عند الشاطئ المجاور لـ«ابن آوى»، ليبتسم لهما «حلمي مهران» وهو يرمقهما يتحركان معًا عند المياه كصديقين لا يزالان ينعمان بشباب الحياة، قبل أن يرمق انغلاق الأنوار في الفيلا ليعود إلى رشده متذكرًا ما شاهده في تلك الرؤيا متفهمًا كل الرسائل التي جمع خيوطها ليحمد ربنا على نعمة أصابته التي فتحت له الكثير من خبايا عقله ووهبته ما ليس لغيره من بصيرة الأمر الذي أثقل كاهله، ليتأكد «حلمي مهران» من سبب وجوده، بعدما أعاده خالقه للحياة، ليساعد كل مظلوم في طريق رحلته. والآن أدرك أن «حازم» سيواجه نهايته بالفعل إن لم يستطع إنقاذه فهرع «حلمي مهران» إلى باب الفيلَّا ليطرقه ليجد «دعاء» تفتح له وسط الظلام في مشهد قد رآه منذ أيام وقبل حتى أن يتعرف إلى «حازم».

- «حلمي»!

اندهشت «دعاء» من ظهور «حلمي مهران» الواقف على الباب.

- «حازم» فين؟!

تساءل «حلمي مهران» كما فعل في رؤياه عند بداية الأحداث لتجيبه «دعاء» بنفس الإجابة.

- جوة أهو.

مشيرة إليه كي يدخل، فتقدم «حلمي مهران» بسرعة رامقًا المكان الذي باتت إضاءته عاجزة عن كشف الوجوه، لينادي الضحية بصوت مرتفع.

- «حازم».

- الحقني يا «حلمي».

أجابه «حازم» صارخًا من أعلى فيندهش بقية الحضور من اختفائه بتلك السرعة، مع تزايد صوت الطرق على النوافذ، حيث كان «حازم» في الأعلى يتراجع مُتقهقرًا من قسوة قاتله وهو يدافع عن نفسه.

- بلاش تضيّع كل حاجة، «حلمي» هنا وهيعرف إنت مين، وساعتها كل اللي بنيناه هيروح.

- «حازم»، بلاش كلام كتير، إحنا رجالة زي بعض، خلينا بقى نستمتع بلحظاتك الأخيرة.

قالها «سالم» وهو يحمل جسد «حازم» وسط الظلام مُتوجهًا به إلى تلك المشنقة الرومانسية المعلقة داخل غرفة ابنته الصغرى، بينما لا يزال «حلمي مهران» والبقية يصعدون السلم مُمسكين بكشافات هواتفهم، باحثين عن «حازم» وسط الظلام، فاتحين الغرفة تلو الأخرى، بينما اتجه «حلمي مهران» دون غيره إلى الغرفة المنشودة وفتحها قبل أن تعود الأضواء، ويهرع إليه وسط الظلام دافعًا

إياه بجرأة لا يمتلكها إلا «حلمي مهران» وقبل أن يُدخل «حازم» رأسه في حبل المشنقة، في تلك اللحظة التي عادت فيها الأضواء وسكن الطرق على النوافذ، ليرمق «حلمي مهران» نفسه وهو مُستلقٍ أعلى «حازم» على الأرض، قبل أن يستعيد وعيه متسائلًا:

- إيه يا «حلمي» طمني، مسكتوا القاتل؟

ابتسم «حلمي مهران» في لحظة دخول الباقين مذهولين من المشهد، بينما هرع إليه «هشام»:

- إيه اللي حصل؟

- هشرحلك، بس المهم تفهمني.

قال «حلمي مهران» جملته الشهيرة بثقة وهو مستمتع بنظرات فضول الجميع ليشرح لهم ما حدث بعدما فهم كيف كانوا ثلاثة ومَن كان رابعهم، فكما كان دومًا «ابن آوَى» داخل ضلوع «حلمي مهران»، كان دومًا «سالم» داخل ضلوع «حازم» مريض الشيزوفرينيا، صاحب القرارات المتناقضة، هذا الشخص الثائر على طيبة «حازم» والذي كان دومًا السبب في تقلب قراراته، فكلما نجح «حازم» في إرضاء محبينه، كان «سالم» دومًا يفسد فعله، في حرب نفسية استمرت على مدار سنوات طويلة، إلا أن ما زاد من سخط «سالم» هو المرض الخبيث الذي أصاب «حازم»، لينسى «سالم» أنهما في الأصل واحد، ليظن أن ضعف «حازم» هو سبب المرض، حتى اقتنع بفكرة قتله

ليوقف هذا الألم النابع من مرض «حازم» أي نفسه، فبعدما كان «سالم» شخصية مبتكرة من «حازم» يهرب بها من ضعفه صار عدوه وقاتله، فلقد كان «سالم» يراقب «حازم»، كان هو من يكتب الرسائل ويضعها في جيبه، بل كان هو من أرسل رسالة التهديد إلى «حنان» حين عرف «حازم» اسمها من «حلمي مهران»، كان هو من يقفز من غرفة «روح» قبل أن يقابل السائق المندهش من رؤيته قبل أن يسرع مرة أخرى إلى الداخل يبحث عن نفسه، كان «حازم» مريضًا وكانت «روح» تعلم، لتستمتع في البداية بجنون زوجها وشخصيته الجديدة الثائرة والمثيرة، قبل أن تدفع ثمن تماهي «حازم» في جنونه، كان هذا قبل أن تعرف «دعاء» سكرتيرة «علي» بتلك الشخصية الخفية لتغويها وتستغلها، زارعة فيه بعلمها النفسي كيفية تطويرها، حتى اقتنع «سالم» بفكرة قتل «حازم» غير مدرك أنه يقتل نفسه، خاصة ليهرب من مرضه وضعفه، فقِلة هم مَن يستطيعون تحمُّل ألم هذا المرض الذي تحمَّله «سامح الديب» في رحلته، فلقد كانت خطة «دعاء» محكمة لتحرم حتى أبنائه من الميراث حين يقتنع الجميع بتورطهم في قتله للانتقام بعدما جعل من حياة كل منهم جحيمًا:

- دلوقتي تقدري تطلبي الطلاق يا هانم!

قالها «حلمي مهران» وهو يرمق شر «دعاء».

- من غير ما تطلب، إنتي طالق يا «دعاء».

لفظها «حازم» للتو بعدما أدرك خطتها مرضه لتغادر هي، وإن كانت تعلم أنه لن يصيبها مكروه فلم تكن خطتها تدينها أبدًا حتى أمام أعتى القضاة!

- معلش مش معنى أن القانون ميقدرش يدينها أن العدل مش هيطولها.

قالها «حلمي مهران» بينما أسرع البقية ليحملوه إلى سريره في حالة ندم على كُرههم له، فيعتذر هو لهم جميعًا طالبًا الصفح عن أفعال «سالم» التي كرهها الجميع.

- محدش يقدر يلوم على واحد في ظروفك يا «حازم» بيه.

قالها «الطوخي» بينما أمسك «حازم» يد ابنته «نسرين» ليضعها في يد ابنه «زياد»، قبل أن يوجه حديثه إلى ابنه «زياد»:

- ابقى خلّي مراتك تسامحني هي كمان.

- كلنا مسامحينك، المهم تبقى كويس.

قالتها «يارا» ليوافقها «ماجد» قائلًا:

- أنا فهمت يا بابا، وماما أكيد فاهمة.

قالها مشيرًا إلى «روح» لتوافقه ويهدأ صخبها فيرمق «حازم» مياه البحر من نافذة غرفته مُبتسمًا وهو يحاول التشبث بتلك الأنفاس بصعوبة، ولكنه يفضل أن يستسلم للأمواج.

***

عادت «دعاء» إلى منزلها بخفي حنين، بعدما خسرت كل شيء مما خططت له، ولكنها كانت قد سرقت الكثير من ملفات مرضى «علي» أثناء فترة عملها هناك، لتدرك أنه لا يزال لديها فرصة في ضحية جديدة، فتوجهت إلى غرفة مكتبها قبل حتى أن تستريح في لهفة منهزم يسعى إلى حفظ ماء وجهه، وفور فتحها للإضاءة وجدته هناك.

- كنت متأكد أنك هتيجي هنا.

قالها من على كرسي مكتبها هذا الرجل المرتدي قناع «ابن آوى»، لتصرخ قائلة:

- أنت مين؟

رفع «ابن آوى» خيطًا يمسكه بيده كان موصولًا بالباب ليغلق من فوره، فأسرعت هي تحاول فتحه في هلع.

- مش هيفتح.

كررت محاولاتها مرعوبة، فلقد كانت تعرف أن من أمامه هو القاتل المتسلسل «ابن آوى» الذي يقتل كل مذنب هارب من القانون، ليطبق هو عليه العدالة.

- أنا عارفة كويس أنت مين.

توقف «ابن آوى» في هدوء قائلًا:

- مصر كلها عارفة مين «ابن آوى».

التفتت «دعاء» وهي تسند على الباب المغلق قائلة:

- لأ أنا عارفة مين «ابن آوى»، أنت «حلمي مهران».

ضحك «ابن آوى» من خلف قناعه وبدأ يصفق بيده.

- إذا كان «حلمي مهران» نفسه مش متأكد!

- بس أنا شوفتك عند الدكتور «علي»، ومفيش سبب يخليك تعرفني غيره.

توقف «ابن آوى» مكانه لحظة لتندهش هي قبل أن يضيف.

- خلصتي؟

- أنت هتعمل أية؟!

- هعمل إللي بعمله لأي حد بيشوفني يا «دعاء».

قالها مشيراً إلى تلك المشنقة المعلقة في آخر الغرفة والأوزان التي تنتظرها لتزن وزن قلبها بتلك الأيديولوجية المصرية القديمة المعروف بها «ابن آوى» في محاكمة ضحاياه ممن يستحقون.

- بس أنا معملتش حاجة عشان استحق الموت.

قالتها «دعاء» وهي بين أيدي «ابن آوى» الذي قال:

- ما هو ده إللي أحنا هنشوفه.

***

استفاق «حلمي مهران» للتو من غفلته مندهشًا من هذا الكابوس الذي شاهد فيها «دعاء» على المشنقة، ليستعدل جلسته مستعيدًا وعيه، ويجد نفسه داخل ملجأ «مفتاح الحياة»، ليندهش ويحاول التذكر كيف وصل إليه، قبل أن يجد ابنه قد حضر أمامه.

- بابا تعالى نلعب معاهم شوية.

ابتسم «حلمي مهران» المحب للأطفال خاصة اليتامى منهم حيث يشعر بالمسؤولية تجاههم، لذا مول بكل ماله هذا الملجأ، ليشعر اليوم بالفخر من ابنه الذي بدأ يشاركه تلك الرحمة، ليشعر أنها اللحظة المناسبة لاستئمانه على سر جديد.

- باقولك إيه، إنت تقدر دلوقتي تحفظ سِر، صح؟

- أكيد يا بابا أنا تربيتك.

ابتسم «حلمي مهران» وأخذ ابنه بالصعود إلى أعلى الملجأ حيث غرفة حبيبته «أمنية» التي فقدها في بعد حادث الحادي والثلاثين من أكتوبر المشؤوم، تلك القضية التي غيرت حياة «حلمي مهران» والتي علم فيها وجود ابن عمه «رمزي» الذي أخفاه عن أعين الجميع، نظرًا لخطورة علمه الذي يستطيع فك أصعب رموز المصريات.

- أنت مطلعنا فين يا بابا؟

تساءل «وليد» ليجيبه «حلمي مهران» وهو يفتح غرفة «أمنية» متذكرًا أسرارها.

- جيه الوقت يا «وليد» أنك تعرف أن ليك قريب مهم اسمه «رمزي».

قالها «حلمي مهران» وهو يقوم بالاتصال بتلك العائلة التي تحتضن «رمزي» من أهل أسوان الكرام، حيث يُجيبه رب تلك العائلة التي تحتضن «رمزي»، ليجيبه الأخير من فوره.

- وحشتني أوي يا «حلمي».

ابتسم «حلمي مهران» وبدأ الحديث معطيًا ابنه المجال في مكالمة استمرت دقائق طويلة، قبل أن يلمح «حلمي مهران» من الخارج تلك الفتاة المتوقفة في الشارع من بعيد والتي ظنها «أمنية»، ليترك الهاتف مع «وليد» ليتحدث مع «رمزي» ويهرع مترجلًا على السلم وصولًا إلى الشارع حيث كانت تلك الفتاة موجودة بالفعل، فيقترب «حلمي مهران» منها مندهشًا:

- إنتي حِلم ولَّا عِلم؟!

- إنت لسه بتسأل يا «حلمي»؟!

- أيوة لازم أسأل، أنا شوفتك وإنتي بتموتي في حِلم!

قالها «حلمي مهران» الذي شاهد مقتل «أمنية» في رؤية ظنها حقيقة.

- آديك قلت، ده كان مُجرد حِلم.

قالتها وهي تُعطي ورقة لـ«حلمي مهران»، قبل أن تنظر

لأعلى:

- خلّي بالِك من الست دي!

مُشيرة إلى غرفتها القديمة التي وجد فيها «حلمي مهران» الآن مديرة المصحة تنظر له، قبل أن يلتفت ليجد «أمنية» قد هرعت مُسرعة، ليُدرك خطر كشف سِر «رمزي»، فاضطر إلى تركها والصعود لأعلى بسرعة، ليجد تلك السيدة بالفعل مع ابنه «وليد» الذي أغلق الخط بذكاء.

- معلش أنا خوفت على ابنك لما شوفته لوحده.

أومأ «وليد» إلى أبيه برأسه ليأخذه ويذهب، بينما ظلت هي ترمقهما في ضيق قبل أن تتصل بالخواجة «جون» في ألمانيا:

- «حلمي مهران» مخبّي حاجة، وابنه شكله يعرفها.

قالتها تلك السيدة التي كانت تعمل لصالح عدو «حلمي مهران» الأول «جون» الذي لا يزال يبحث عن كنز خفي بين ضلوع مصر القديمة التي يعشقها «حلمي مهران» وابنه «وليد» وسرهما «رمزي».

أخذ «حلمي مهران» ابنه وغادر الملجأ بدراجته البخارية، وهو يمسك بتلك الورقة التي أعطته إياها الفتاة الغامضة حيث كاد الفضول يقتله، حتى عاد إلى شقته ليتوجه إلى غرفة مكتبه، ويقرأ تلك الورقة التي كُتب فيها:

«فلتُصدق عيناك وقلبك، ستجد كلماتي في أوراق

صديقك».

لم يفهم «حلمي مهران» في البداية الحديث، ثم تذكَّر أن حبيبته «أمنية» كانت تعيش في ألمانيا قبل أن يفقد بها الاتصال حين ظنها قتلت، ليتجه من فوره إلى تلك الأجندة الجلدية مُمسكًا بها، وينتبه للمرة الأولى إلى بعض السطور الفرعونية الغريبة التي ظنها مجرد رسومات تقليدية لأجندة عامل مصري في بلد أجنبية، قبل أن يتأكد الآن أنها قد تحتوي إلى رسالة ما لم يستطع فكّ طلاسمها:

- لغز جديد؟

تساءل «وليد» في لهفة ليبتسم له «حلمي مهران» بالإيجاب ليبدآ معًا محاولاتهما في فك تلك الطلاسم الغريبة من أجندة «سامح الديب».

***

منذ بضعة أشهر، وبينما كان «سامح الديب» في مكتبه بالقنصلية، طلبت لقاءه تلك الفتاة المصرية المصابة ليستقبلها هو دون غيره.

- أنا آسفة، ماكُنتش متوقعة إن حد هيرضى يقابلني.

- ليه بتقولي كده؟! إنتي مصرية وإحنا هنا في خدمتك.

ابتسمت «أمنية» وهي تُخرج تلك الأجندة الجلدية القديمة:

- هاشرحلك كل حاجة، بس المهم نتأكد إن الأجندة

دي توصل مصر.

سكتت لحظة ثم تابعت:

- توصل لـ«حلمي مهران».

أمسك «سامح الديب» تلك الأجندة وهو يستمع إلى حديثها المطوّل، الذي صدّقه، ليضع تلك الأجندة في دُرجه، منتظرًا اللحظة المناسبة للبحث عن صديقه الذي لم يكن يعرفه بعد، حتى استطاع أخيرًا إيصالها له بالفعل، ليظل «حلمي مهران» الآن مع ابنه يحاولان فكّ تلك الجُمل المكتوبة بمساعدة «رمزي» هاتفيًّا، حتى قرأ «حلمي مهران» الرسالة مُبتسمًا، ليعرف أن تلك القضية ستكون أهم قضايا الفترة القادمة، ليعرف أن «سامح الديب» لا يزال في جُعبته الكثير، وقد صار صاحب أفضالٍ لم يكن تجاوزها يتعدى مجرد قضية، فيأخذ «حلمي مهران» تلك الأجندة ويتجه بدراجته البخارية إلى مصر الجديدة، للقاء صديقه الذي عرف أين يستطيع لقاءه، فيصف دراجته البخارية عند المقابر التي ساعده «هشام» للوصول إليها، حتى قرأ اسم مقابر «الديب»، ووجدها مفتوحة وفي داخلها مقعدَان بعد المدخل، بينما كان هناك رجل يجلس على المقعد اليمين، فدخل «حلمي مهران» بفضول ليجد الرجل هو «يوسف» الذي عاد للتو من ألمانيا..

- معلش أنا آسف، معرفش أن في حد جاي.

قالها «يوسف» ليبتسم له «حلمي مهران» الذي تعرف عليه

من رؤياه.

- لا ولا يهمك مش حضرتك «يوسف» برضة؟

اندهش «يوسف» وارتبك.

- أيوة يا فندم حضرتك تعرفني.

أشار «حلمي مهران» إلى قبر صديقه وقال:

- «سامح» الله يرحمه مكنش يخبي عني حاجة.

ابتسم «يوسف» وهو يرمق القبر قائلًا:

- أنا الراجل ده مشوفتوش غير مرة واحدة، بس الصراحة حسيت أنه رسول جايبلي رسالة، يمكن مفهمتهاش ساعتها، بس بفضله بعد ربنا أنا قدرت أرجع مصر، وده كان حلم بعيد أوي عليا.

ابتسم «حلمي مهران» هو الآخر رامقًا قبر صديقه:

- مفيش حد شاف «سامح» وملوش فضل عليه.

وافقه «يوسف» وهمّ بالمغادرة قبل أن يعود ليلتفت إلى «حلمي مهران» متسائلًا:

- هو أنا معرفش حضرتك، أصلي حاسس أني أعرفك أو شوفتك قبل كدة.

قالها «يوسف» وهو يتذكر مقابلته لـ«سامح الديب» حال «حلمي مهران» الذي تذكر تلك الرؤية قبل أن ينكرها قائلًا:

- لأ، أحنا ماتقابلناش قبل كدة، بس تقدر تقول أنا و«سامح» كنا واحد.

ابتسم الرجل وغادر، ليجلس «حلمي مهران» على المقعد الأيسر ومن أمامه القبر الذي دُفن فيه صديقه، قبل أن يسمع صوته عن يمينه:

- آديك عرفت هتلاقيني فين، مش قلتلك أنا هفضل مكاني.

ابتسم «حلمي مهران» حين سمع صوت «سامح الديب» في خياله، بينما كان خارج المقبرة هذا «الديب» لا يزال يعوي إلى جوار «ابن آوى»

***

#بس_المهم_تفهمني

إلى اللقاء في القضية الثامنة

رِثاء صديق عُمري «سامح الديب»

«كلنا بنختار الجدع، وابن الأصول دايمًا جدع، يمكن محدش فينا بيختار أهله أو ولاده، بس بنختار أصحابنا وشركاءنا في الحياة، وممكن في بعض الأحيان نفضّلهم على أقرب الناس لينا، علشان ببساطة اخترناهم بهويتنا الحقيقية من غير أي تزييف، وهمّا تقبّلونا زي ما إحنا دون أي استباق للأحكام، ده باختصار «سامح الديب» الجدع، صاحب عُمري اللي اختارته بهويتي الحقيقية، ما جمَعتنيش بيه مدرسة أو كلية أو حتى منطقة، علشان كده هو الصديق المختلف، اللي اخترته بكامل إرادتي، أنا الإنسان، والمهندس، والكاتب الحكيم الطايش، بالحلو والوحش اللي فيّا، أنا الابن والأب والأخ والصديق اللي فيّا. قِدِر يستوعبني دايمًا، من قبل شهادتي من الكلية، باركلي في أول شركة ليا، وسقفلي على أول مشروع، اشترى مني أول كتاب، كل لحظة حلوة في حياتي مجمّعاني معاه صورة ليا، ما هو طول عمره الجدع. ده أنا حتى اللي جوّزته، وفرشت معاه بيته، شيلنا ولاد بعض وحافظين بيوت بعض، طب ده يعرف عني اللي مايعرفوش أهلي وبقية صحابي.

كان ظابط مرموق وجدع، وقدر يسخّر وظيفته في خدمة الناس، لما كنت باحتاج حاجة ماكُنتش باكلّم حد من أهلي، كنت باكلمه هو، كان أكبر مني بأيام بس كانوا سنين طوال، ما هو كان أخويا الكبير وسَندي وزي أبويا يا جدع! ما باقولك ده كان جدع. لما بانجح

كان أول واحد باكلمه، بيفرحلي بنية صافية، ولا كأنه ابن أمي وأبويا، ممكن كنت أخبّي حاجة حلوة جتلي من عين الناس إلا هو، ما هي عينه حلوة زي قلبه، مش باقولكو جدع! وممكن كنت أخبي خيبة أمل ليا أو انكسار إلا عنه، ما هو مش هيشمَت، بالعكس ده هيطبطب عليا زي الجدع. خدم كل اللي يعرفني؛ أمي وأبويا وخيلاني وأعمامي وزمايلي. اللي يعرفني يعرف اسمه، وملقّبينه بالجدع، ملوش إخوات رجالة، ما هو مش محتاج، ما كلنا إخوات الراجل الجدع. والله ما شوفت للرجولة عنوان زيه، راجل وقف حتى مع البلد، ومن اللي كانوا بيحرسوها في كل وقت وزنقة، يعرف سري كله ومش أنا لوحدي، ما هو كان المداوي النفسي لكل اللي يعرفه يا جدع، كل ما كنت بازورُه أو نخرج معاه كنّا بنتخانق نقعد جنبه نحكيله مشاكلنا، كان بِير مخزّن كل حاجة، ولا عُمره فتَن بكلمة، ما باقولك كان راجل جدع!

كان العَفيّ اللي فينا، اللي كنت باحسده على قوّته.. بس من سنتين تعب فجأة وكأن حياتي اتغيرت يا جدع، كل يوم نتأكد إن مرضه أسوأ من كل حساباتنا، دكاترة الشلّة بقوا مَرجعنا، بقى في جروب بنتكلم فيه عن مرضه في غياب الجدع! بقينا بنفهم في الأدوية، كِبرنا فجأة، وكل يوم نسمع أسوأ خبر، والعِلم كله عاجز إنه يداوي وجع ابن قلبي القمر، طب ده كمان أنا اللي بلّغته الخبر، سِمع مني اسم مرضه، وكأن قلبه حاسس بالأمر، وراح مكمّل

هزار، طب إزاي يا جدع؟! إيه يا بني القوة دي؟! إنت إزاي كده؟! سنتين من الألم عُمري ما شوفته مكسور، مُبتسم وراضي وبيصلّي ويقرا قرآن، وكمان هو اللي يجمعنا علشان نخرج أو نسافر، إنت متخيل يا جدع! خلال فترة مرضه لقّيت معاه الدنيا، ضِحك وهزار كأنه هيعيش عُمر جديد، بس من غير ما يفوّت فرض، كنت باشوفه مبتسم عني، وأنا بابقى متكدّر من أتفه الأسباب، خلّتني أحس إني صغير أوي يا جدع، وفهمتني إن الدنيا مش مستاهلة، بس يا أخي خدعتني وخليتني أصدّقك، خلّيتني أفتكرك هزمت المرض ومكمّل عُمر طويل، لدرجة إني لما رجعت من سفري الأخير وبعتلك إني رجعت وعايز أشوفك يا جدع، قولتلي أي وقت، وكذبت عليا، وفهّمتني إن عندك وقت، الشغل غفّلني عنك أسبوع، أرجع ألاقيك راقد على السرير، بقي كده تغفّلني يا جدع؟! أسلّم عليك تشاور لي وتضغط على إيدي وما تتكلمش، يقولولي تعبك مُتوقع، مستغرب ليه؟! مستغرب علشان غشّني وإني تخيّلت إنه من قوته برضه أقوى من المرض، ده إنت الجدع، ما هو محدش يقدر على سامح وجدعنته، يوم ورا يوم وحتى الإشارة حرمني منها، يوم ورا يوم وحتى النظرة حرمني منها، طب مش كنت تبلّغني إنك بتضحك عليا يا جدع! كنت سِيبت شغلي وجريت عليك قبل ما لسانك يوقّف كلام، يا أخي هو ده كان وقت تطمّني فيه، هاطمّن إزاي في غيابك، وأنت السند والأمان وأنت الجدع. يا أخي ده أنا قبل مرضك استأمنتك على وصيتي، تقوم تمشي

من غير ما توصيني أعمل إيه في غيابك يا جدع!

سمعت من أهلي إنك ابن موت، زيك زي عمي أحمد اللي بعد سيرة عطرة أتشرف فيها إني شيلت اسمه. كلمت أبويا أقوله علّمني أعمل إيه، ده إنت في تعبه هو شيلت من قلبي الفزع، عاجز ومش عارف ألومك ولا ألوم اللي عرفني بيك من أكتر من عشرين سنة يا جدع، ماكُنتش هاصاحبك بس، ماقريتش الودع، ولا كان زمان قلبي انفطر، أصل إزاي تطلب مني أحضر غُسلك وأنزّلك قبرك وأمشي وأقول ده قضاء وقدر، ده أنا كنت متخيل إن إنت اللي هتدفني يا جدع! دلوقتي في جنازتك غيران مابنش من وسط محبة البشر، بس أكيد حاسس بيا وواصلك إني باقع، بس هو إنت مصدّق نفسك يا جدع! بعد ما كنّا بنلعب كورة، تمشي ونقول ده الواد خلع! طب أهَوّن عن أمك إزاي كل الوجع، يا صاحبي ده إنت خدت مني أغلى سنين عمري، وما عادليش بعدك نفع، خلاص قفلت قلبي من بعد ما اتوجع، ما أقدرش أصاحب تاني والحب من قلبي اتمنع، في حتة ماتت في قلبي صعب تنوّر تاني يا جدع، مهما كتبت مش هالاقي فيك أي كلام اخترع.

وده مش رثاء، ده وداع لابن الأصول الجدع، باكتب لعلها تنتشر وتوصل لحد أحسن مني يقرا كلامي ويدعي بالمغفرة للجدع. يقولوا اللي يجبنا يصلّي علينا، وأنت كل اللي أعرفه صلّى عليك يا جدع. ماكُنتش من زوار القبور،

بس هاجي أزورك علشان جدع، هتوحشني يا بن قلبي، هتوحشني بجد يا جدع. أنا كنت معاك في غُسلك، أيوة باتمنظر، وحتى جنب قبرك واقف باتباهى بيك يا جدع، زمايلك عارفنّي، طلعت كُنت بتحكيلهم عني يا جدع! يا رب يكون بالخير يا صاحبي ده إنت الحب كله، ده إنت يتّمتِني وأنا وسط أهلي يا جدع. صُورك منوّرة كل حتة ومحفورة في ذهني؛ صورة راجل جدع، عُمري ما هانساك مهما طال عمري أو قُصر، هتفضل في قلبي يا جدع. بيقولوا الإخوات ما نتعوّضش، لكن الصحاب الجدعان ممكن بيبقوا زي الأهل، لأ.. وصدقوني ممكن أكتر، أصلكو ماشوفتوش سامح الجدع، الصاحب اللي أعز من أي أهل، ده النبي نفسه مدفون جنب أصحابه.

السلام لكل اللي سبقونا أمانة، فخور إن ولادي شافوك بكل أمانة، وهافضل أحكيلهم عنك للنهاية، وما تخافش على أهلك معانا، رصيدك مغطي بزيادة، بس إوعى إنت تخون الأمانة، واندهنا من الجنة يا جدع، وما تخافش على صاحبك يا جدع، ما أنا جدع علشان صاحبت الجدع، يلّا بقى ما تشغلش بالك، ما ارتحت خلاص من عذابك، وكله كان أجر في ميزانك، واتطمّن.. وجودك زي ما هو في غيابك، سلّملنا إنت بس على النبي، سلّم عليه والنبي. سلام يا صاحبي، نوّرت قبرك، نوّرته بعملك يا جدع».

***

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

t.me/twinkling4